

لحضرة

مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

نظام الخلافة والطاعة

(تعريب ثلاث خطب الجمعة)

ألقاها

سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

اسم الكتاب: نظام الخلافة والطاعة

الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ الموافق لـ ٢٠١٥م

Niẓāmul-Khilāfah Waṭ-Ṭā'ah

(The Institution of Khilāfat and Obedience)

An Arabic rendering of:

Three Friday Sermons Delivered by

Ḥaḍrat Mirza Masroor Ahmad
Head of the Worldwide Aḥmadiyya Muslim Jamā'at,
Fifth Successor to the Promised Messiah (on whom be peace)

Translated from Urdu by: Arabic Desk U.K.

First Arabic translation published in the UK in 2015

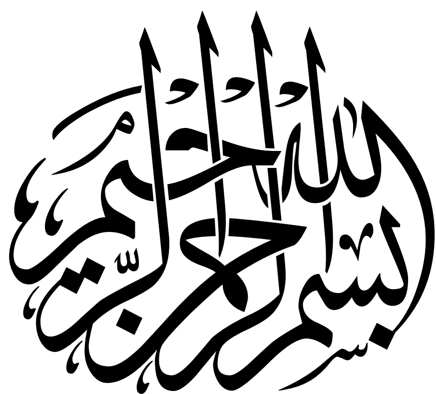
Published by:
Islam International Publications Ltd.
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey, GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press
Tilford

For further information please contact:
Phone: +44 1252 784970
Fax: +44 1252 781692
www.islamahmadiyya.net

Cover designed by: Anan Massoud Odeh

ISBN: 978-1-84880-448-7


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة الناشر أ

الخطبة الأولى

كل الخير في طاعة الخلافة ١

مثال الإبل يحلّ مسألة النبوة والإمامة ٣

ميزات الصبر والتزود والتزام القيادة في الإبل ٥

قيود الطاعة والبيعة عليها ٧

المسؤولون أحوج الناس لفهم أبعاد الطاعة ٨

سؤال يوسوس للناس حول الطاعة الكاملة ١١

جدوى سعي المسلمين مشروط بالخلافة ١٢

الفرق الجوهري بين حكام الدنيا والخلافة ١٢

يستحيل أن تأمر الخلافة بمنكر ١٥

دقائق قدسية إمامة الصلاة وقدسية الخلافة ١٦

جهاد النفس للطاعة يورث السعادة والرقي ١٧

تناغم مدد الصبر وزاد الطاعة وتوصيل الطاعة لمرحلة الكمال ١٩

بدون الطاعة لا يصلح رقي ولا عمل ٢١

الطاعة عند طلب المركز تقصي الحقائق ٢٢

الرد على وسوسة ٢٤
بشارات الفتح عند وضع حجر أساس مسجد فيزبادن ٢٦

الخطبة الثانية

الطاعة روح وثابة مجاهدة ذات جوائز هائلة ٢٧
الطاعة ميزة المؤمن ٢٩
ضرورة الطاعة الصادقة ٣١
توافق نظام الخلافة الروحانية مع نظام المواطنة ٣٤
لذة الطاعة ونورها ٣٦
نفي الهوى وطواعية النفس ٣٧
الطاعة سر رقي الأمم ٣٨
روح الطاعة تنجذب نحو العظائم ٣٨
طاعة البيعة أعظم شأنا ٤٢
كيف تنـــزل البركة في حياتكم ٤٣
الفرقة والمعصية تسبب الفشل ٤٥

الخطبة الثالثة

الخلافة نعمة عظمى ومملكة الله الخاصة ٤٩
الخلافة تعود من جديد ٥١
نعمة عظمى يليق بالنبلاء شكرها ٥٣

الله يثبت وجوده مجددا مع الخلافة	٥٤
لحظة فيها تجلت صيانة الله للخلافة	٥٦
صفات الله تتجلي بروعة وجمال فذ	٥٩
قصص تعبر عن سماوات جديدة يبنيها الله	٦١
أقوياء الإيمان يستمرون في رؤية الآيات والتأييدات	٦٥
سمعة الدين الحق أمانة فاحفظوها بقدوتكم	٦٦
لولا الخلافة الإسلامية ما زكا من تزكى منكم	٦٧
الخلافة مملكة الله الخاصة تنـــزل عليها خواص البركة	٦٩



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

هذا الكتاب هو عبارة عن خطبِ جمعةٍ ثلاثٍ لإمام الجماعة الإسلامية الأحمدية، حضرة مرزا مسرور أحمد، أيده الله تعالى بنصره العزيز، الخليفة الخامس للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام تناول فيها أهمية الخلافة والطاعة على ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال المسيح الموعود عليه السلام والخليفة الثاني رضي الله عنه.

في الخطبة الأولى تناول حضرته، نصره الله، ما جاء في تفسير المسيح الموعود عليه السلام لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية ١٨)، حيث بيَّن عليه السلام أن هذه الآية ترشد إلى أهمية الطاعة والتزام الإمام بالنظر إلى ما تتحلى به الإبل من مزايا؛ فالإبل من مزاياها الصبر والتحمُّل والتزوُّد والتزام القيادة وطاعتها، حيث نرى أن الإبل عندما تسير في قافلة فإنها تتبع البعير الذي يكون في مقدمتها في خط مستقيم، وتوازن سرعتها مع سرعته وتتناغم معها، ولا تتدافع أو يتقدم بعضها على بعض. فالله تعالى أراد أن يلفت انتباه المؤمنين إلى هذه المزايا لكي يتحلوا بها في اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم للخلفاء من بعده. ثم أكَّد الخليفة، نصره الله، على أهمية الطاعة وأهمية أن يلتزم المسئولون في

الجماعة بها قبل غيرهم ليكونوا قدوة لهم، وأن طاعتهم هي التي ستجعلهم مطاعين وتؤدي إلى سير أمور الجماعة بسلاسة. وردَّ حضرته، نصره الله، على وسوسةِ أن الطاعة الكاملة قد تكون ضارة، بالنظر إلى ما حدث في بعض الأنظمة الدنيوية، وذلك بقوله إن الطاعة هي سمة أي نظام ناجح، وهي تكون دائما سببا للرقي وللأمن والطمأنينة والسلام، وأن الحكام الدنيويين ينبغي طاعتهم طاعة كاملة إلا إذا أمروا بمعصية، وعندها لا نطيعهم في هذه المعصية فقط ولا نخلع طاعتهم ولا نتمرد. أما الخلافة فهي نظام رباني، والخلفاء فلا يمكن أن يأمروا بمنكر او معصية بخلاف أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، ولذلك يجب أن تكون طاعتهم كاملة غير مشروطة، وقد أمر النبي ﷺ بطاعة الخلفاء الراشدين واتباع سنتهم كما يتبع المؤمنون سنته ﷺ، وهذا هو الفارق بين طاعتهم وطاعة الحكام الدنيويين.

وقدم حضرته مثال إمامة الصلاة الذي يرشد إلى كيفية طاعة الإمام والخليفة، حيث إن المأمومين يتبعون إمام الصلاة في كل حركاته، وإن أخطأ فلا يملكون إلا أن ينبهوه ثم يتبعونه حتى لو استمر على خطئه. فالله تعالى جعلها درسا للمؤمنين لكي يفهموا حقيقة الطاعة والالتزام بالإمام والخليفة.

وبيَّن حضرته على ضوء ما قال المسيح الموعود عليه السلام أن الطاعة تورث لذة في القلب ونورا لا تحققها المجاهدات وكثرة العبادات، ومن المهم أن

يتحلى المؤمن بهذه الطاعة وأن يرفع من مستواها لكي يتقدم في مدارج الروحانية، لأن الله تعالى ربط نوال هذه الدرجات بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ٧٠).

كما أكد حضرته أن الطاعة هي ميزة المؤمن، وذكر قول المسيح الموعود عليه السلام الذي بيَّن خطأ من قالوا بأن الإسلام قد انتشر بقوة السيف؛ حيث أوضح عليه السلام أن الإسلام إنما انتشر بقوة الطاعة التي فاضت في قلوب المؤمنين وأدت إلى الوحدة، وهي التي أدت إلى فتح القلوب وجذبها تجاه جماعة المؤمنين. وبين عليه السلام أن الصحابة قد قبلوا الصدق والحق، واستقاموا نتيجة إيمانهم وطاعتهم، وهذه الاستقامة كانت معجزتهم العظمى التي كانت فوق الكرامات، وهي التي جذبت القلوب، وأن الواجب على جماعة المسيح الموعود أن تصطبغ بصبغة الصحابة لكي تلتحق بهم وتكون مصداقا بالفعل لقوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة ٤)

وأكد حضرته أن تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء ٦٠) إنما يعني أن تتعاملوا مع الخلافات مع أولي الأمر وفقا لما أمر به الله ورسوله، ففيما يتعلق بأولي الأمر من الحكام الدنيويين فعليكم بطاعتهم فيما تحبون وتكرهون إلا في المعصية، أما أولو

الأمر من الخلفاء فالواجب اتباعهم وطاعتهم طاعة كاملة، واتباع سنتهم التي هي سنة النبي ﷺ. وبيَّن حضرته ما قاله المسيح الموعود عليه السلام أن طاعة الحكومة تورث الأمن والسلام، أما طاعة النظام الروحاني تورث اللذة والنور والمراتب الروحانية، وأن الطاعة الكاملة يلزمها ذبح النفس الأمارة، وبهذه الطاعة ننال شيئا من النور الذي وهب للنبي ﷺ.

وبيَّن حضرته أن الطاعة فيها سر عجيب يؤدي إلى نتائج مذهلة حتى في النظم الدنيوية، أما في النظام الروحاني فإنها تحقق المعجزات. وأكد حضرته على ما قاله الخليفة الثاني رضي الله عنه أن مدلول البيعة ينحصر في الطاعة، وقول المسيح الموعود عليه السلام أن الطاعة هي سيف الصدق الذي يقطِّع الأعداء باستمرار ويحقق لنا الانتصارات.

أما في الخطبة الثالثة فقد بيَّن حضرته أن الخلافة قد عادت بفضل الله تعالى ليلتحق الآخرون بالأولين، وهي نعمة يقتضي شكرُها إحداثَ تغيير في نفس المؤمن يليق بهذا الفضل والتكريم الذي أكرمنا الله تعالى إياه، وأن الله تعالى سيؤيد نظام الخلافة دائما ليحطم أفراح الشيطان وأعوانه ويخزيهم كلما ظنوا أنهم يستطيعون الإضرار بجماعة المؤمنين.

وذكر في هذه الخطبة مقتبسا للخليفة الثاني رضي الله عنه ذكر فيه شيئا من أحداث الفتنة التي ثارت في الجماعة بعد وفاة الخليفة الأول رضي الله عنه، وما دار بينه وبين المولوي محمد علي، زعيم غير المبايعين، وكيف أن الذين لم يبايعوا الخلافة قد فشلوا في مسعاهم وأثبت الله تعالى أنه مع الخلافة.

وبيَّن حضرته أن أقوياء الإيمان الملتزمين بالخلافة سيستمرون برؤية الآيات والتأييدات، وأن رقي الجماعة مرتبط بالالتزام بالخلافة حصرا، لأن وعود الله تعالى هي مع الخلافة، فلا يظنن أحد رأى ثمرات طيبة لأعماله أن هذا بفضل علمه أو عقله ودهائه، فلولا الخلافة ما نتجت هذه الثمرات.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب نافعا للقراء الكرام، وأن يوفقكم لإدراك مكانة الخلافة وأهمية الطاعة بفضله ورحمته، آمين.

لقد شارك في ترجمة هذه الخطب كل من الأساتذة الكرام: عبد المجيد عامر، محمد أحمد نعيم، محمد طاهر نديم، عبد المؤمن طاهر، وقام بمراجعتها ووضع العناوين الجانبية الإخوة الأفاضل: فتحي عبد السلام، د. وسام البراقي، تميم أبو دقة، هاني طاهر، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

نسأل الله تعالى أن يوفق القارئ العزيز للاستفادة من هذا الكتاب وإنشاء علاقة الطاعة المخلصة مع الخلافة ونظامها ثم يوفقه للتقدم في الإيمان والتقوى والعمل الصالح، آمين.

الناشر

الخطبة الأولى

كل الخير في طاعة الخلافة

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّـــدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُـــسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الـــضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى الـــسَّمَاءِ كَيْـــفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْـــفَ نُـــصِبَتْ * وَإِلَـــى الأَرْضِ كَيْـــفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٨-٢١)

إنه لمن فضل الله تعالى ومنته علينا أنه وفّقنا للإيمان بإمـــام هـــذا الزمن أي الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. كلما احتجنـــا إلى الهداية والإرشاد أو أردنا أن نفهم شيئا أو نبحث عن لآلئ الحكمة المذكورة في القرآن الكريم وجدناها في كتب هذا المبعوث الإلهـــي وملفوظاته وحلّت المشاكل التي نواجهها.

مثال الإبل يحلّ مسألة النبوة والإمامة

الآيات من سورة الغاشية التي استهللتُ بها خطبتي ونقرأها عادةً في الركعة الثانية في صلاة الجمعة قد فسّرها المسيح الموعود عليه السلام تفسيرا

جميلا ورائعا ومليئًا بالعلوم والمعارف يصوّر مشهدا فريـــدا للتطبيـــق العملي. فقد حلّ المسيح الموعود عليه السلام بواسطة هذه الآية مسألة طاعة النبي والإمام ووضَّح مفهوم الطاعة الكاملة بـــضرب مَثـــل الإبـــل للمتمسكين بأهداب النبوة والإمامة أي القائمين بالطاعة الكاملة التي هي أساس كل شيء. يبدو هذا الكلام غريبا في بادئ الرأي ويتساءل المرء: ما العلاقة بين الإبل والنبوة والإمامة؟ ولكن الـــشرح المفـــصل الذي قام به المسيح الموعود لهذا الموضوع يجعلنا ندرك هـــذه الـــصلة العظيمة. يقول المسيح الموعود عليه السلام مفسرا هذه الآية:

"لقد وردت في القرآن الكريم آية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وهي مفيدة جدا لحل مسألة النبوة والإمامة. للبعير قرابـــة ألف اسم في العربية، وقد اختير من بينها اسم "الإبل" هنا. فما السر في ذلك، إذ كان ممكنا أن يقال: "إلى الجَمل" أيضا؟

يبدو أن الجَمل يُطلق على بعير واحد والإبلُ اسم الجمع. ولما كان الله تعالى يريد أن يُري هنا الحالة التمدنية إجمالا، فلم يكن بيان هذه الحال ممكنا باستخدام كلمة "الجمل" التي تُطلق على بعير واحد، لذا اختار الله تعالى كلمة "إبل". لقد أُودِعت الإبلُ قدرة على الاتبـــاع ومطاوعة بعضها بعضا. ترَون كيف تمشي الإبل في طوابير طويلـــة وراء بعضها بأسلوب واحد وبسرعة واحدة. والبعير الـــذي يـــسير

أمامها ويكون إمامَها يكون أكثرها خبرة وأعرفها طريقا ثم تتبعه بقية الإبل وراء بعضها في طابور واحد وبسرعة واحدة، ولا تنشأ في قلب أيٍّ منها رغبة في المشي بالتوازي مثل الحيوانات الأخرى كالأحصنة وغيرها. فإن قضية اتباع الإمام مسلَّم به في طبيعة الإبل لذلك أشار الله تعالى إلى هذه الوحدة فقال: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ﴾ أي عندما تمشي الإبل في طابور واحد. كذلك من الضروري أن يكون هناك إمام واحد من أجل المحافظة على الوحدة والتمدن.

(الأمر الأول الذي يجب أن ننتبه إليه هو أن يكون هناك إمام واحد للمحافظة على الوحدة والتمدن)

ويجدر بالانتباه أيضا أن الطابور يتكوّن عند السفر، فما لم يكن هناك إمام لقطع سفر في الدنيا فإنّ الإنسان يضل مرارا حتى يهلك. *(الدنيا أيضا بمنزلة سفر الحياة فلقَطع هذا السفر لا بد أن يكون هناك إمام يرشد إلى الصراط المستقيم)*.

ميزات الصبر والتزود والتزام القيادة في الإبل

والمعلوم أيضا أن الإبل أكثر الدواب حملا للأثقال وأكثرها مشيا، ومنها يتعلّم المرء درس الصبر والجَلَد. ومن ميزات الإبل أيضا أنها

تتزوَّد بالماء في أثناء الأسفار الطويلة لعدة أيام، ولا تغفـــل. فعلـــى المؤمن أيضا أن يكون دائم الاستعداد لسفره وأن يكون حذرا دائما، وخير الزاد التقوى.

يتبين من كلمة "اُنظر" أن هذا النظر ليس كنظر الأطفال بل يتعلّم الإنسان منه درس الاتباع، أي كما أشير من خلال الإبل إلى حالة التمدن والوحدة، وكما في الإبل ميزة اتّباع الإمام كذلك يجب على الإنسان أيضا أن يجعل اتباع الإمام دستورا له، لأن الإبل خادمـــة للإنسان وتوجد فيها هذه الميزة. وفي: "كيف خُلقت" إشـــارة إلى تلك الفوائد الشاملة التي تُستفاد من الوحدة الملحوظة في الإبل".

ففي "كيف خُلقت" إشارة إلى الفوائد التي يستفيد بها الإنسان من الإبل. لقد بعث الله تعالى المسيح الموعود في هذا الـــزمن بحـــسب وعوده ونبوءات رسوله ﷺ، ووفّقنا للإيمان به ثم أكرمنـــا بنظـــام الخلافة بعد المسيح الموعود عليه السلام فعلينا أن نقدّر هذه النعمة ويجـــب أن ندرك روح نظام الخلافة. يقول المسيح الموعود عليه السلام ما مفـــاده: سيكون هناك أناس يأخذون البيعة من أفراد الجماعة باسمي، أي أنّ الخليفة سيأخذ البيعة نيابة عنه عليه السلام. فما دامت البيعة تؤخذ باسمـــه عليه السلام فإن سلسلة الطاعة تصل إليه بواسطة بيعة الخليفة وطاعته.

المقتبس الذي قرأته ربط فيه المسيح الموعود عليه السلام بين علاقة النبوة والإمامة وبين ما تتحلى به الإبل من ميزات. والمفهوم هنا واضح أن المسيح الموعود عليه السلام بشّر الذين بايعوه ثم ظلوا متمسكين بأهداب الخلافة بأن بقاءهم الروحاني والتقدم منوط بتمسكهم بالخلافة بعده عليه السلام. إذاً، إن تقدم الجماعة الإسلامية الأحمدية يكمن في تمسكنا بنظام الخلافة، وفي ذلك يكمن سرّ الخلاص من هجمات الشيطان. يقول النبي ﷺ: "الإمام جُنّة"، فما دمتم وراء هذه الجُنّة فإنكم تجتنبون هجمات الشيطان. والمراد من البقاء وراء الجُنة هو طاعة الإمام الكاملة والسير على خط مستقيم في طابور حُدّد لكم، وإذا خرجتم من الطابور ولو قليلا كان هناك خطر أن تضلوا السبيل وتتيهوا.

قيود الطاعة والبيعة عليها

فيما يتعلق بالطاعة فلا بد من الانتباه إلى حديث آخر أيضا لرسول الله وهو: "من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقط عصاني". هناك أحاديث كثيرة في موضوع الطاعة، كذلك أُمر بالطاعة في آيات عديدة من القرآن الكريم أيضا. لذا هذا هو السر الذي يجب أن ينتبه إليه كل من ينتمي إلى الجماعة الإسلامية

الأحمدية من أجل تقدم الجماعة. فيجب على أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية أن يفهموا هذا الأمر جيدا ويتنبهوا إليه، ولا سيما في هذه الأيام حين تُنشر أفكار خاطئة باسم الحرية ويقال: لماذا تُفرض علينا هذه القيود ولماذا نتقيد بها؟ ولماذا لا نُعطى حرية في بعض الأمور؟ يجب أن يتذكر كل مسلم أحمدي أن الإسلام قد أعطى أتباعه حرية مشروعة في كل مجال من مجالات الحياة بل الحرية التي أعطاها الإسلام لا نظير لها في أيّ دين آخر. أما الحدود والقيود التي فرضها فهي من أجل إصلاح أخلاق الإنسان ولتقدمه الروحاني والمحافظة على وحدة الجماعة، فلا بد من التقيد بها.

المسؤولون أحوج الناس لفهم أبعاد الطاعة

هنا أريد أن أقول للمسؤولين في الجماعة - أيا كان مستواهم - بأنهم إذا كانوا يريدون أن يكونوا أنصارا في تقدم الجماعة، وإن لم يقبلوا بهذه المناصب لإبراز أنفسهم وإظهار أنانيتهم فهم أحوج من غيرهم إلى فهم مضمون الطاعة. فإذا أدرك أصحاب المناصب هذا الأمر فسوف يدركه بقية أفراد الجماعة تلقائيا وينتبهون إليه وستتراءى نماذج الطاعة على كل المستويات، ويتراءى الجميع متبعين أسلوب الإبل في المشي في الطابور وسيمشون في اتجاه واحد وسنرى

نماذج الطاعة على كل مستوى وسيطيع الجميع إمـــامَهم في كـــل خطوة. فعلى الأمراء في الجماعة والرؤساء وغيرهم من المسؤولين أن يفحصوا أنفسهم هل يطيعون الخليفة بحيث إنه كلما أتاهم أمر منه أطاعوه طاعة كاملة فورا دون أدنى تردد ومضض أم يحـــاولون أن يؤوّلوه من عندهم تأويلات مختلفة. وإذا كانوا يفعلون ذلك فهـــذه ليست طاعة.

لقد ذُكر في الأحاديث حادثٌ حدَث في زمن النبي ﷺ حين سمع الصحابي عبد الله بن مسعود صوتا يقول: اجلـــسوا، فجلـــس في الطريق لأنه كان حينها ماشيا في الطريق و لم يعلّل نفسه بأن هـــذا الأمر موجَّه إلى الذين في المسجد بل سمع هذا الصوت وجلس فورا حيثما كان. فسأله سائل: ما بك تحبو إلى المسجد حبـــوا فـــالأمر موجَّه إلى الموجودين في المسجد فرد عليه الصحابي قائلا: لقد سمعتُ صوت النبي ﷺ وهو يأمر بالجلوس فجلستُ. قال السائل: هذا الأمر كان موجَّها إلى مَن كانوا في المسجد. قال: سواء كان الأمر موجَّها إلى الذين في المسجد أو في الخارج فلا فرق، المهم أنني سمعتُ صوت النبي ﷺ وأطعتُه.

هذا ما أقصده من كلامي السابق، هذه هي معايير الطاعة الـــتي يجب أن نحققها. هناك بعض المسؤولين في الجماعة الذين يعملـــون

بأمر يأتيهم من الخليفة ولكن على مضض وبتردد وبانقباض شـــديد في قلوبهم. والعمل بالتردد والانقباض ليس طاعة، بل الطاعة هي أن يعمل المرء بالأمر فورا ودون أدنى تردد أو انقباض. لا بـــأس في أن يكون لأحد رأيٌ خاص به، ولكن إذا صدر من الخليفة حُكم أنـــه يجب أن تفعلوا كذا، فلا بد من أن يتخلى المرء عن رأيه الشخصي كليا.

كان مرزا بشير أحمد رضي الله عنه يقول بأنني أتبنّى رأيا في بعض الأمـــور بناء على دليل عندي ثم أقدّمه إلى خليفة المسيح، فإن لم يلق رأيـــي القبول عند الخليفة فلا يخطر ببالي مطلقًا لماذا لم يقبل رأيي، وأنسى أنه كان لي رأي، ثم يصبح رأي الخليفة هو رأيي، فأصُبُّ اهتمامي الكامل على طاعة هذا الأمر الذي أتلقّاه من الخليفة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: ينبغي أن تضعوا أنفسكم في يد الإمام كالميت بيد الغسال. فكما أن الميت لا يسعه التحرك إلى هنا وهناك بل يحرّكه الغسال كيف يشاء، كذلك على المطيع الكامل أن يضع نفسه في يد الإمام. بعد تحقيقكم هذا المستوى تـــستطيعون الوفـــاء بعهود البيعة، وتقدرون بلوغ مستويات طاعة الله وطاعة الرســـول. فلا بد أن يولّد كل واحد منا هذا التفكير في نفسه ويـــبرهن عليـــه بعمله، ولا بد من تقديم النماذج في هذا المجال للجدد ولـــذرياتنا،

وهناك حاجة ماسة ليقدم الكبار أسوهم للشباب، أي ينبغي أن يقدم الكبار أسوهم فيراهم الأطفال والشباب ويتعلموا منهم، والأهم من كل ذلك هو أن يبدأ تقديم مثل هذه الأسوة بدءًا من فوق إلى تحت، وعليه فلا بد لكل مسؤول أن يقيم مثل هذا النموذج.

سؤال يوسوس للناس حول الطاعة الكاملة

ينشأ هنا في أذهان بعض الناس سؤال - بطبيعة الحال على فرض صحة هذا السؤال والأسئلة التي تصلني - وهو أن الطاعة الكاملة ربما تكون ضارة. لقد اتخذ هؤلاء الناس فكرة أن الطاعة الكاملة ضارة لأن "هتلر" قد فرض طاعة جميع أوامره في ألمانيا، وعاش دكتاتورا، ويظن بعض الألمان أنهم قد هُزموا في الحرب العالمية الثانية بهذا السبب، واضطروا لتكبد أضرار فادحة وتعرضوا للمهانة. فإنني أريد أن أوضح لكل أحمدي وكلّ شاب أن هناك فرقًا شاسعًا بين الإمامة والخلافة والدكتاتورية، إذ إن الخلافة تُقام بعد الإيمان بإمام الزمان وبحسب وعود الله تعالى، ويعاهد كل مؤمن أن يبذل كل ما في وسعه من أجل استمرار نظام الخلافة. حتمًا، لا إكراه في الدين، ولكن إذا آمن أحد بدين فلا بد أن يلتزم بعهد إقامته، وهو العهد

نفسه الذي يتعهد به كل أحمدي لإقامة الخلافة، وهو ضروري من أجل وحدة الأمة.

جدوى سعي المسلمين مشروط بالخلافة

فينبغي الوفاء بعهد طاعة الخلافة لأن الجهود ستتكاتف خلف إمام واحد من أجل إقامة حكومة الله تعالى على قلوب العالم كله. أما المسلمون الآخرون فإنهم بدون إمام، وإن نتائج الجهود التي تبذلها الجماعة الإسلامية الأحمدية، والنجاحات الباهرة التي تحرزها بتشبثها بالخلافة، تنبئ بجلاء أن المسلمين الآخرين وإنْ تمسكوا بتعاليم إسلامية إلا أن الحصول على النتائج المذكورة لا يتأتّى إلا من خلال الانخراط في سلك الخلافة.

الفرق الجوهري بين حكام الدنيا والخلافة

ثم من مهام الخلافة الاهتمام الكامل بأداء حقوق العباد. أي الإقرار بهذه الحقوق وإرساؤها ثم أداؤها من خلال الجهود المشتركة، إضافة إلى ذلك من مهامها خلق الروح في نفوس أفراد الجماعة لإيثار الدين على الدنيا، وتنبيههم إلى أن يقدّموا الدين على الدنيا في كل الأحوال، لأن ذلك يكفل بقاءهم وبقاء ذراريهم. فإنَّ نفْخ مثل

هذه الروح فيهم أيضا من مهام الخلافة. ثم من مهام الخلافة بــذلُ السعي الكثير من أجل إقامة توحيد الله تعالى.

أما زعماء الدنيا فلهم أهداف دنيوية، وينصب اهتمامهم علــى توسيع رقعة حكومتهم الدنيوية، وهذا هو شــغلهم الــشاغل، ولا يهمهم إلا السيطرة على الجميع. وإذا ألقيتم نظــرة علــى العــالم فسترون أن هؤلاء يخرجون من حدود بلادهم ويحــاولون بــسط السيطرة على حريات البلاد الأخرى ســواء كانــت حكومتــهم دكتاتورية أم سياسية. هذه هي أعمال أهل الدنيا، فــإن أعمــالهم تقتصر على قتل العدل من أجل الأنانية والحميّة والأنفة الكاذبــة. وهذه الحالة نراها في العالم الإسلامي وفي بقية العالم أيضا. فهل من دكتاتور في العالم يكون على علاقة شخصية مع رعايا بلده؟ أمــا الخليفة فله علاقة شخصية مع كل أحمدي من كل قوم وعــرق في العالم كله، والأحمديون يكتبون إليه رسائل خاصة يذكرون فيهــا قضاياهم الشخصية. فلو نظر أهل الدنيا إلى كمّية هذه الرسائل لمــا صدّقوا هذا الأمر. إنها الخلافة التي تهتم بآلام كل أحمدي حيثما كان في العالم. والخليفة يدعو لهم. فهل مــن زعــيم في العــالم يــدعو للمرضى؟ وهل من زعيم يتألم من أجل زواج فتيات شعبه ويــدعو لهن بقلق شديد؟ وهل من زعيم يهتم بتعليم أطفال شعبه؟ لا شــك

أن الحكومات تفتح المدارس وتفتح مراكز للصحة، وتوفر التعليم ولكن الأحمديين المنتشرين في العالم كله سعداء لأن الخليفة يهتم بتعليم أطفالهم ويقلق من أجلهم، ويقلق من أجل صحتهم أيضا، ويهتم بأمور زواجهم أيضا. خلاصة القول ليست قضية من قضايا الأحمديين المنتشرين في العالم كله - سواء أكانت قضية شخصية خاصة أم تتعلق بالجماعة - إلا وخليفة الوقت مطلع عليها وبالإضافة إلى بذل السعي لحلها يتضرع أمام الله تعالى ويدعو لها. هذا ما أعمله وهذا ما دأب عليه الخلفاء من قبلي.

لقد استعرضت ملخصًا للأعمال الكثيرة التي عهد الله تعالى بها إلى خليفة الوقت، ولا بد أن ينجزها. ليس من بلد في بلاد العالم إلا وتأخذني إليه أفكاري قبل النوم، فأدعو للأحمديين هناك قبل النوم وعند الاستيقاظ. لا أخبركم عن هذه الأمور لأمنّ عليكم بها، بل هو من واجبي. وفقني الله تعالى لأداء واجبي هذا أكثر مما أقوم به.

زبدة القول أنه لا يمكن أن يكون هناك وجه للمقارنة بين الخلافة والزعماء الدنيويين. بل من الخطأ إجراء مثل هذه المقارنة. عندما أذكر لبعض الزعماء الدنيويين بريدي اليومي وأنني أطلع على هذا العدد الكبير من الرسائل منها رسائل شخصية وأخرى إدارية، يندهشون ويقولون كيف يمكن أن يتم ذلك؟! فلا وجه للمقارنة.

يستحيل أن تأمر الخلافة بمنكر

وهنا أريد أن أزيل سوء فهم البعض، ولقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل في خطبي حول شروط البيعة أيضا أن كل أحمدي يعاهد على العمل بكل قرارات الخليفة بالمعروف. يظن البعض أنه ينبغي عليهم أن يحددوا ما هو المعروف. فليتضح أن الله تعالى قد عرّف المعروف كما عرّفه رسوله أيضا. فقد سبق أن حُدّد المعروف. وعليه فالقرار المعروف هو الذي يكون متوافقًا مع القرآن والسنة. وإن الخلافة التي تقوم على منهاج النبوة والتي تنتهج النهج الذي أقامته النبوة والتي هي دائمة بحسب قول المسيح الموعود عليه السلام والتي تواصل مهمته، إنها، أعني الخلافة، يستحيل أن تتصرف أي تصرف يتنافى مع القرآن والسنة، وهذا هو معنى المعروف. إذًا فلا سبيل أمام هؤلاء إلا الطاعة، أو عليهم أن يُثبتوا أن القرار الفلاني من قرارات الخليفة مخالف للقرآن والسنة.

وهنا أود أن أذكّركم أن النبي ﷺ قد صرح أنه لا بد لكم من طاعة قرارات الخلفاء الراشدين واتباع سننهم وأعمالهم. لذا فعلى هؤلاء القوم أن يفكّروا كثيرا قبل محاولة إثبات زعمهم أن كذا وكذا من قرارات الخليفة منافٍ للقرآن والسنة. إذا كان هؤلاء

يحملون رأيا خاصا، مع بقائهم في الجماعة، فلا يجوز لهم أن يشيعوا الإشاعات بين الناس جالسين في مكانهم، إنما عليهم أن يرفعوا رأيهم إلى الخليفة بأدب، لكي يزيل ما عندهم من سوء فهم إذا كان هناك سوء فهم، أو إذا رأى ذلك أخبر الجماعة كلها بهذا اللبس. اعلموا أن المنافقين ينشطون عند تقدم الجماعات الدينية ويعمل الحساد عملهم أيضا، ومن مقتضى الوفاء الصادق مع الخلافة أن تُفشلوا خططهم على كل صعيد، ولا تدَعوا هؤلاء الذين يثيرون سوء ظن بالخلافة ليقتربوا منكم.

دقائق قدسية إمامة الصلاة وقدسية الخلافة

هناك واقعة لحضرة مولانا شير علي ، وقد حدثت حين كان قادما إلى لندن من أجل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية. كان عليه أن يسافر من مدينة مومباي غالبا، فوصل هنالك يوم الجمعة، فقال له أبناء الجماعة هنالك: نريد أن تصلي بنا الجمعة اليوم فإنك صحابي وجئت من قاديان ونريد الاقتباس من فيوضك. لم يكن هؤلاء يعرفونه سلفا ولم يروه من قبل، كما لم يكن يعرف أحدا منهم، فقال في خطبة الجمعة: انظروا أنتم لا تعرفوني، ولم يرني بعضكم من قبل، وقد طلبتم مني أن أقف لإلقاء الخطبة

وجعلتموني إماما لكم اليوم. اعلموا أن من تعاليم الإسلام أن الإمام لو أخطأ في الصلاة فعلى المصلين وراءه أن يقولوا: سبحان الله، تنبيهًا له إلى خطئه، فإذا أصلح خطأه فبها، وإنْ لم يتدارك خطأه فمن واجبهم أن يعملوا كما يعمل ويتبعوه في قيامه وقعوده وركوعه وسجوده مطيعين له طاعة كاملة، ولا يحق لهم أن يتركوا اتباعه ويصلوا وحدهم. فما دام مطلوبٌ منا هذا المستوى من الطاعة في الإمامة المؤقتة في الصلاة، فكم حري بنا أن نطيع الخليفة بعد أن نبايعه ونعاهده عهد البيعة عن طواعية. ما دمنا ندخل في البيعة بأنفسنا دونما إكراه وبعد تفكير كثير فالطاعة جدٌّ ضرورية وفاءً بعهد البيعة.

جهاد النفس للطاعة يورث السعادة والرقي

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"الطاعة شيء إذا اختاره الإنسان بصدق القلب نشأ في قلبه نورٌ وفي روحه لذة ونورٌ. ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة. ولكن الشرط هو أن تكون الطاعة صادقة وهذا هو الأصعب. لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة وإلا لا تتحقق الطاعة. إن أهواء النفس هو الشيء الذي يمكن أن يصبح

أوثانا في قلوب الموحدين الكبار أيضا. *(أي أن بعض كبار الموحّدين أيضا في بعض الأحيان يخرجون من الطاعة، ويتخذون لهم آلهة من دون الله)*. لا يمكن لقوم أن يسمَّى قوما ولا يمكن أن تُنفخ فيهم روح الملة والوحدة ما لم يتمسكوا بمبدأ الطاعة... لو تركوا الخلافات في الرأي وأطاعوا مَن أمر الله بطاعته لتم ما أرادوا إتمامه. يد الله تكون مع الجماعة والسر في ذلك أن الله يحب الوحدة. والوحدة لا تتحقق دون الطاعة."

نرى في تاريخ الإسلام أن الصحابة قد قدموا أعناقهم للذبح بسبب الطاعة الكاملة وبالتالي نشروا الإسلام في العالم خلال سنوات قليلة، وتحقق كل ذلك بسبب الطاعة. ولا يعني هذا أن الإسلام قد انتشر بالحروب، بل يعني ذلك أنهم قاموا بالتبليغ أيضا، ثم إذا اضطروا للخوض في الحروب فلم تستطع كثرة عدد الأعداء وهجماتهم أن تحول دون إنجازهم مهامهم. وبسبب تحلّيهم بروح الطاعة تأهبوا عند اقتضاء الحاجة لمواجهة عدو كثير العدد أيضا. ونرى مقابل ذلك أن أتباع موسى عليه السلام لم يُظهروا نموذج الطاعة فحَرموا أنفسَهم الإنعام لأربعين سنة.

فلو أردتم الرقي فلا بد لكم من اتّباع الخليفة وطاعته، لأن جهاد هذا العصر، أعني جهاد التربية وجهاد التبليغ والدعوة لن يتم إلا

باتباع الخليفة. لا بد لكم من ذلك ولا بد لكم من العمل بما بين لكم المسيح الموعود ﷺ بضرب مثال الإبل. عليكم أن تجعلوا الطاعة فطرتكم الثانية، بل ينبغي أن تؤثروا طاعة الإمام على كل أمر آخر.

تناغم مدد الصبر وزاد الطاعة وتوصيل الطاعة لمرحلة الكمال

أواصل توضيح هذا الموضوع أكثر على ضوء تفسير المسيح الموعود ﷺ فأقول: هناك حاجة ماسة لرفع مستوى الطاعة لنجاتكم من الضلال والهلاك، ولا يمكنكم البقاء صابرين على الشدائد والصعاب إلا بالاعتصام بحبل الخلافة، فقد قال عليه الصلاة والسلام أنه لا بد لنا من الصبر على الشدائد. فمهما سعى معارضو الأحمدية ليضغطوا علينا ويلقونا في الشدائد والصعاب باذلين أقصى جهودهم للقضاء علينا في زعمهم، فإن الله تعالى يأخذ بنا إلى غايتنا بسرعة أكثر إن شاء الله، ولكن الشرط أن تكون طاعتنا كاملة. إننا نجد المسلمين الآخرين اليوم يدَّعُون العملَ بالقرآن والسنة كما قلت من قبل، ولكن ينقصهم الصبر وتحمل المصائب، فلا عمل لهم إلا الإساءة إلى الإسلام. فاليوم إن جماعة المسيح الموعود ﷺ

والسلام هي وحدها تقدّم للصبر والتحمل نماذج يغبطون عليها. إنها تقدِّم نماذج تحمّل الأذى التي وُجدت في المسلمين في صدر الإسلام، مما يوضح معنى قوله تعالى ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن الجَمل يدّخر الماء للسفر، ولا يكون غافلا عن سد حاجته إلى الماء عند الضرورة، فينبغي للمؤمن أيضا أن يأخذ حيطته وأُهبته للسفر في كل حين. وكيف يفعل ذلك؟ إنما سبيله أن يتزود لسفره هذا. وكما قلت آنفا فإن المؤمن في الدنيا كالمسافر، فعليه أن يتزود لسفره، وخير الزاد التقوى. هناك حاجة لأن نؤدي أعمالنا وعباداتنا أداء يجعلها خيرَ زاد لنا. لقد تيسّرَ لنا الماء الروحاني من خلال إيماننا بإمام هذا الزمان، ومن واجبنا الآن أن ندّخر هذا الماء ونحتفظ به وننتفع به. يجب أن يدرك كل مسلم أحمدي هذه الحقيقة.

فيا لسعادة قوم يستمعون لأقوال إمامهم ويعملون بها بطاعة كاملة، وهذا ما يجعلهم يستفيضون من فيوض نعمة الخلافة. لقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أن المستفيضين من فيوض الخلافة إنما هم أولئك الذين يعملون الصالحات ويعبدون الله تعالى ويقيمون وحدانية الله، وأولئك هم السائرون على دروب التقوى.

بدون الطاعة لا يصلح رقي ولا عمل

فكيف يمكن لأحد، بعد الأخذ بهذه الأمور في الحسبان، أن يقول بأن الخلافة لها أيضا أهداف مادية أو كأهداف الحكام الماديين. إن الذين ينجرّون وراء الأهداف المادية لا علاقة لهم بالروحانية البتة، وفي أحيان كثيرة لا ينجحون في غايتهم ولا يحرزون مآربهم رغم تيسر الأسباب المادية كلها. إنما النجاح أن يحرز المرء الانتصار الأخروي، ولكنهم يظلّون محرومين منه. أما الذين يبتغون رضوان الله تعالى ويسلكون سبل التقوى، فلا يكون هدفهم الانتصار المادي، إنما غايتهم الفوز بقرب الله تعالى والتزود بالتقوى أكثر فأكثر من خلال الطاعة الكاملة. إن هدفنا إقامة حكم الله تعالى ورفع لواء وحدانيته في العالم، لا أية منفعة شخصية، وسنفتح قلوب العالم لنأتي بهم تحت راية النبي ﷺ، ولنيل هذا الهدف نقيم برامجنا التبليغية والبرامج الأخرى، ولنيل هذا الهدف نركِّز على **الدعاء** وينبغي أن نركز. فالخلافة تعمل لتحقيق هذه الأهداف، لكن ذلك يقتضي أن نفهم أولا ما هي الخلافة، ولا يُفهم ذلك إلا إذا آمنا بوجوب الطاعة الكاملة، فمهما كان أحد يعدّ نفسه عالما ومتدبرا أو خطيبا إذا لم يكن مطيعا فليس له أي مكان في الجماعة الإسلامية

الأحمدية، ولا يُكسب علمُه هذا وعقله العالمَ فائدةً روحانية. يجب أن نتذكر دوما قول المسيح الموعود عليه السلام أي "يجب على الإنسان أن يتخذ طاعة الإمام دستورا له" فعندما تتمكنون من الطاعة الكاملة لخليفة الوقت واتباعِه، وتعملون بالتوجيهات والأوامر الصادرة من خليفة الوقت وتتوقفون عن تأويلها وتفسيرها، فسيزهر ويثمر علمكم وعقلكم بنيل رضوان الله تعالى. فبناء على تفسير المسيح الموعود عليه السلام لهذه الآية عندما ننظر إلى بقية الآيات التي تلوتها عليكم تتبين المعارف أكثر أن الإنسان لا يستطيع الارتقاء إلى قمم السماء الروحانية إلا عندما يدرك مضمون: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٦٠)، فكما يطالب المسئولون أفراد الجماعة أن يطيعوهم بصفتهم أولي الأمر كذلك على المسئولين أيضا أن يطيعوا الخلافة طاعة كاملة وليكُفُّوا عن التأويلات، ولينفِّذوا كل كلمة لخليفة الوقت إيمانا منهم بأن تنفيذها واجبٌ.

الطاعة عند طلب المركز تقصي الحقائق

أحيانا عندما تُرسَل من المركز بعض القضايا من أجل التحري والتقصي فمن الملاحظ أن المسئولين يبذلون المساعي أولا للعثور على من رفع الشكوى بدلا من أن يروا أن الشكوى صحيحة أم لا،

فإذا كانوا صادقين في التقصي فيجب التدارك والبحث عن الحل وإزالة الضعف والنقص. أما إذا كانت الشكوى خاطئة فليرفعوا التقرير أن الشكوى ليست صحيحة وقد رفعها أحدٌ عبثًا. لكن الملاحظ أهم يؤجلون التقصي ويسعون أولا لاكتشاف من ذا الذي رفع هذه الشكوى. فيجب أن لا يهتمّ أيٌّ مسئول بالبحث عمَّن رفع الشكوى أو أخبر المركز. فمن واجبكم أن تبحثوا في الأمر الذي يرسَل إليكم وتُخبروا المركز، وإن لم تفهموا أي حكم للخليفة بوضوح فبدلا من أن تفسروا من عندكم وتقولوا إن المراد منه كذا أو كذا، يجب أن تستفسروني خطيا أننا لم نفهم ونرجو التوضيح أكثر، فما المراد من الأمر الفلاني. وكذلك يجب على كل فرد من أبناء الجماعة أن يتحلى بالطاعة الكاملة، وعندما يطيع كل واحد فسوف نتقدم إن شاء الله إلى المعالي الروحانية، وهذا هو معنى هذه الآيات. يقول الله ﷻ عندما تبلغون القمم الروحانية فسيترسخ إيمانكم كالجبال المنصوبة في الأرض، وهذا العروج الروحاني والإيمان القوي سيؤدي إلى انتشاركم في الأرض حاملين رسالة الإسلام، فسوف تحرزون التقدم والازدهار في الشرق والغرب أيضا إن شاء الله، وستكون أوروبا وآسيا أيضا لكم وأميركا وإفريقيا أيضا وسيرفرف لواء الإسلام الصحيح في أستراليا وفي الجزر أيضا.

الرد على وسوسة

أود أن أقول شيئا آخر انطلاقا من انتشار الإسلام، أني سمعت أن بعضكم يضطربون إثر سماع اعتراض على قـول سـيدنا المـصلح الموعود ﷺ أنه إذا فُتحت ألمانيا فسوف تُفتح أوروبا بأسرها. هذه الجملة كانت مكتوبة على إحدى اللافتات في الجلسة، وعندما قرأها أحد الألمان اعترض أنه يُستشف من هذه الجملة أنكم أتيتم إلى هنا لفتح ألمانيا، ففي الظاهر ترفعون هتاف الحب والرفق وفي الخفاء لكم عزائم خطرة. فهذا يعود إلى قلة فهم القائل، أو غبائه أو ربما قـصد إثارة الفتنة. إذا كان يقصد الفتنة فهو خطير، إذ أنه يحاول الإثـارة ضد المسلمين، وضد الجماعة الإسلامية الأحمدية. أما الذي ردّ عليه وشرح له فهو أيضا قليل العلم إذ اضطرب بلا سبب وظنَّ أن هـذا السؤال قد يتحول إلى قضية. فالسكان المحليون الألمان عادة عقـلاء ويعرفون أن الجماعة تسعى لنشر دعوة الإسلام في العالم وهي تنجز أعمال خدمة الخلق، لكي تقرِّب العالم من الإسلام بشرح التعلـيم الجميل للإسلام وتضمّهم إلى المسلمين. فكلمة الفتح لا توحي قطعا أننا سنرفع السيف والعياذ بالله أو سوف نطيح بعروش الحكام. كلا بل نعلن قبل كل شيء أن "لا إكراه في الدين"، فالدين يخص قلـب

كل إنسان. فلا داعي للقلق والاضطراب، فنحن كما قلت سابقا ننشر دعوة الإسلام في العالم، ولن نفتح ألمانيا وأوروبا فقط بل سوف نفتح العالم كله إن شاء الله. لكن ذلك بفتح القلوب وبتأثير التعليم الجميل للإسلام لا برفع السيف إطلاقا. فكلام سيدنا المصلح الموعود ﷺ عن ذلك فيه بيان عظمة الشعب الألماني، إذ كان قد تفوَّه بهذه الجملة أي "أن الألمان هم قادةُ أوروبا" أثناء مأدبة أُقيمت لأحمدي ألماني حديث لما ذهب بعض الأحمديين الألمان الجدد إلى قاديان. ففي هذه الجمل بيان عظمة الألمان، أن الألمان هم قادة أوروبا وأنهم يتمتعون بموهبة القيادة، وأنهم إذا فهموا الإسلام فاعلموا أنهم سيقدرون على أن يفهِّموه لأوروبا كلها، وأن أوروبا سوف تستجيب لهم. فقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ هذا حق وصادق، وهو يتحقق اليوم إذ نلاحظ الدور القيادي لألمانيا في الاتحاد الأوروبي وتُرى فيه كفاءاتُ الألمان إذ كل واحد يرنو إليهم. فالسياق والمناسبة ليست لرفع السيف والعنف بل الحديث عن تعليم الإسلام عن نشر الحب والمودة، وإنشاء العلاقة بالله ﷻ، وترسيخ هذا التعليم في قلوب الناس.

بشارات الفتح عند وضع حجر أساس مسجد فيزبادن

قبل الأمس كان هناك برنامج بمناسبة وضع حجر الأساس للمسجد في مدينة "فيزْبادَنْ" حيث حضر البرنامجَ أكثر من أربعمائة ضيف ألماني، فتكلمتُ معهم بإيجاز عن تعليم الإسلام، فكلهم تقريبا قالوا إن هذا الرسالة هي صوت قلوبنا جميعا، وقد تسنى لنا اليوم الاستماع إلى رسالة الإسلام حقًّا. يجب أن نتذكر أننا إذا تابعنا أعمالنا بإخلاص ووفاء مستعينين بالله فسوف يفهمون الإسلام ويعتنقونه هُم أو أجيالهم القادمة، فسوف يوفِّق الله لقبوله من يريده. فلا داعي للخوف ولا الاضطراب ولا الخجل ولا اتخاذ موقف الدفاع. وليس ثمة حاجة لإطلاق ردٍّ يترشح منه الخوف. فلا نستهدف الحصول على الحكومات المادية ولسنا بحاجة إليها. إن مهمتنا ترسيخ حب الله في القلوب وجعْل الناس منيبين إليه. وسوف ننشغل في نيل هذا الهدف إن شاء الله. فكل أحمدي بحاجة إلى أن يطيع الخلافة طاعة كاملة لإنجاز هذا العمل ونيل هذا الهدف، وفَّق الله الجميع لذلك.

(خطبة الجمعة ألقيت يوم ٠٦/٠٦/٢٠١٤ في فرانكفورت بألمانيا)



الخطبة الثانية

الطاعة روح وثابة مجاهدة
ذات جوائز هائلة

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمـــدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الـــرَّحْمَنِ الـــرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَـــسْتَعِينُ * اهْـــدِنَا الـــصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَـــيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِـــي الْـــأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـــهِ وَالرَّسُـــولِ إِنْ كُنْـــتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٦٠)

الطاعة ميزة المؤمن

لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية مبدأ أساسيًا للمؤمن الحقيقي وهو أنه ينبغي أن يتميّز بالطاعة ويبرزها دائمًا بكل جلاء سواء كانـــت الطاعة لله أو لرسوله أو للحكام، ولكن إذا أمرتـــه الحكومـــة بمـــا يتعارض مع أمر الله الواضح وأمر رسوله فلا بد أن يقدِّم أمـــرَ الله ورسوله؛ أما إذا كانت الحكومة لا تتدخل في الأمور الدينية فلا بد من طاعتها، سواء كان القائمون عليها مسلمين أم غير مـــسلمين. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وفيه أمر واضح لطاعة أولي الأمر. وإن قال أحد بأن الحكومة لا تدخل في (منكم) فهذا خطأ واضح منه. كل ما تقوم به الحكومة ويتوافق مع الشريعة فهو يدخل في (منكم). والذي لا يخالفنا فهو منا. ومن الإشارة في هذا النصّ يثبت من القرآن أنه يجب أن يطيع المرءُ الحكومةَ."

أي يتضح من القرآن الكريم وهو ما أشارت إليه الآية المذكورة أنه يجب طاعة الحكومة.

فلقد أوضح الحكَمُ العدلُ في هذا الزمان أن على المؤمن أن يطيع الحكومة في جميع قوانين بلده التي تخص الأمور الدنيوية ويتقيد بها ما عدا الأوامر التي تؤدي إلى مخالفة أوامر الله وأوامر رسوله. لو عمل بهذا الأصل الذهبي مسلمو هذا العصر وتخلّوا عن محاربة حكومات بلادهم لهدأت كثيرًا أوضاعُ الفتن المستشرية في بلاد كثيرة.

على أية حال، لا أريد الخوض الآن في مسئولية الحكام عن هذه الأوضاع ومدى مسئولية الأحزاب المفسدة، وإلى أي مدى تتأثر بها الأمة المسلمة، بل سأقدم أمامكم مقتبسًا من كلام المسيح الموعود عليه السلام، وهو مقتبس طويل نوعًا ما إلا أنه يحوي جوانب شتى من مستويات الطاعة وأهميتها، والأضرار الناجمة عن عدم الطاعة، ودور

الطاعة في نشر الإسلام. ولا شك أن الأحمديين وحدَهم يقْدرون في هذا العصر على إظهار نموذج هذه الطاعة المنشودة وعلى التوضيح للعالم كيفيةَ إقامة عظمة المسلمين. باختصار، لا بد من رفع مستويات الطاعة وتقديم النماذج العملية لها.

ضرورة الطاعة الصادقة

يذكر المسيح الموعود عليه السلام هذا الأمر ويقول:

"أي أطيعوا الله ورسوله والملوكَ. الطاعة شيء إذا اختاره الإنسان بصدق القلب نشأ في قلبه نورٌ وفي روحه لذة ونورٌ. ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة. ولكن الشرط هو أن تكون الطاعة صادقة وهذا هو الأصعب. لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة وإلا لا تتحقق الطاعة. وأهواء النفس شيءٌ يمكن أن يتحول إلى أوثان في قلوب الموحدين الكبار. كم كان فضل الله تعالى عظيما على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين! وكم كانوا فانين في طاعة رسول الله ﷺ! صحيح تماما أنه لا يمكن لقوم أن يسمَّى أمة ولا يمكن أن تُنفخ فيهم روح الملة والوحدة ما لم يتمسكوا بمبدأ الطاعة. وإذا بقيت الفُرقة والخلاف في الرأي فاعلموا أنها بوادر الانحطاط والإدبار. ومن جملة أسباب ضعف المسلمين

وانحطاطهم الخلافاتُ والنــزاعات الداخلية أيــضا. فلــو تركــوا الخلافات في الرأي وأطاعوا مَن أمر الله بطاعته لتمَّ ما أرادوا إتمامه. يد الله تكون مع الجماعة والسر في ذلك أن الله يحب الوحــدة، ولا تتحقق الوحدة دون الطاعة. كان الصحابة في زمن رســول الله ﷺ ذوي رأي سديد من الدرجة العليا وقد خلقهم الله تعالى على هــذا النحو، فكانوا مطّلعين جيدا على مبادئ السياسة أيضا، ويتبين بجلاء كم كانوا موهوبين من حيث سداد الرأي إذ أن أبا بكــر وعمــر رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة حين أصبحوا خلفاء وملكوا السلطنة تحملوا عبئها الثقيل بحسن الإدارة والنظام. ولكن كانــت حالتهم أمام رسول الله ﷺ أنه كلما قال ﷺ شيئا استخفّوا مقابلَــه بآرائهم وفِطنتهم، وعدّوا كل ما قاله النبي ﷺ واجبًا العمــل بــه. كانوا قد بلغوا في فنائهم في الطاعة حالةً بحيث كــانوا يتبــاركون بفضل وضوئه ﷺ ويعدّون شفتَيه مباركتين. ولولا هــذه الطاعــة والخضوع الكامل فيهم، أو لو قدّم كل شخص رأيه لحدثت الفُرقة ولما نالوا تلك المراتب العليا.

أرى أنه يكفي دليلا لرفع النــزاعات من بين أهل الشيعة والسنة أنه لم يكن في الصحابة شيء من الفُرقة والعداوة الداخلية قــط لأن تقدمهم ونجاحاتهم يدل على أنهم كان متحدين دون أن تكون بينهم

أدنى معاداة. يقول المعارضون الأغبياء بأن الإسلام نُشر بقوة السيف ولكني أقول بأن ذلك ليس صحيحا، بل الحقيقة أن قنوات القلب فاضت بماء الطاعة. وكانت نتيجة الطاعة والوحدة أن استمالوا قلوب الآخرين. إن مذهبي هو أنهم اضطروا لحمل السيف لحماية أنفسهم فقط. وإلا كانوا قادرين على فتح العالم باللسان وحده حتما دون رفع السيف، كما يقول المثل الفارسي: القول الذي ينبع من القلب يؤثر في القلب.

يقول حضرته:

لقد قبلوا الصدق والحق، وقبلوهما بصدق القلب ولم يكن في ذلك أدنى تكلف أو رياء. فكان صدقهم سببا لنجاحاتهم. الحق أن الصادق يستخدم سيف صدقه. إن الوجه الكريم للنبي ﷺ الذي كان يعلوه نورُ التوكل على الله وكان يحمل صبغة الجمال والجلال وكان يملك جذبا وقوة كان يجذب القلوب عفويا. وقد أبدت جماعته نموذج طاعة الرسول وثبتت استقامتها فوق الكرامة لدرجة أنّ كل مَن كان يراهم ينجذب إليهم تلقائيا. *(إن ذلك النموذج الذي أروه وثابروا عليه كان بمنزلة الكرامة منهم بحيث انجذب إليهم تلقائيًا كلّ مَن رآهم)* إذًا، فهناك حاجة اليوم أيضا إلى التحلي بحالة الصحابة ووحدتهم لأن الله تعالى جمع هذه الجماعة التي تُعَدُّ على يد

المسيح الموعود مع الجماعة التي أعدّها رسول الله ﷺ. ولأن تقـدم الجماعة منوط بأسوة مثل هؤلاء الناس، لذا فأنتم الـذين تـسمَّون جماعة المسيح الموعود وتتمنون أن تلحقوا جماعة الصحابة عليكم أن تتصبغوا بصبغة الصحابة. فلتكن طاعتكم كطاعة الصحابة، والحب والأخوة المتبادلة كحبهم وأخوهم. باختصار، يجـب أن تتخلقـوا بأخلاق الصحابة في كـل شـيء. (الحكـم، مجلـد٥، رقـم٥، عدد١٠/٢/١٩٠١م ص١-٢)

توافق نظام الخلافة الروحانية مع نظام المواطنة

لقد أوضح حضرته عليه السلام في هذا المقتبس أمورًا كثيرة، أولها هو: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمـر مـنكم أي رؤسـاءَكم وحكوماتِكم، ويدخل في ذلك نظامُ الحكومة ونظام الجماعة أيضا، أما طاعةُ الخلافة فتفوقهما، لأن الخلافة لا تقـيم إلا أحكـامَ الله ورسوله، ونظام الجماعة تابع للخلافة. وهذه ميزة جميلة للخلافة أنه إذا أثير نزاع بين المسئولين -الذين عُيِّنوا لإدارة نظام الجماعة- وبين أفرادها أزالَه خليفة الوقت، وهو أمر يدخل في واجبات الخليفة.

لقد قلت هنا أن طاعة الخلافة تفوق طاعة الحكومة، فيجب أن لا يُساء الفهم هنا، وينبغي أن يكون واضحًا أن الخليفة أكثر الناس اتباعًا لقوانين البلد، وأكثرهم مطالبةً باتباعها.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "المراد من أولي الأمر من الناحية المادية هو الملِك، ومن الناحية الروحانية هو إمام الزمان." (ضرورة الإمام)، وعليه فيمكن أن يستمر النظام الروحاني داخل النظام الدنيوي لأي حكومة، وهو حاصل الآن. ونحن سعداء بكوننا جزءًا لهذا النظام الروحاني. ولقد أجرى الله تعالى نظام الخلافة استمرارًا لنظام إمام الزمان الذي يهدف إلى إقامة حكم الله ورسوله في القلوب، وعند حدوث أي نزاع يفصل فيه الخليفة وفق حكم الله وحكم الرسول.

هذه منة الله علينا أننا ننعم بنظام الخلافة وإلا فالفِرق المختلفة والفقهاء يفسّرون ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ تفسيراتٍ مختلفة تعقِّد الأمور بدلاً من حلّها، كما أن أفكارهم في التعامل مع حكومة الوقت أيضا يمكن أن تؤدي إلى خلق مشاكل شتى. فلا يمكن الوصول إلى اجتهاد موحّد وقرار موحّد إلا في ظل الخلافة، وهو أمر لا يستطيع الأحمديون أداء حق شكره. ويمكن إظهار هذا الشكر من خلال الطاعة الكاملة للخلافة.

لذة الطاعة ونورها

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام وهو أمر هام جدًّا بأن الطاعة المخلصة تولّد نورًا في القلب ولذةً في الروح. لا شك أن المراد منه طاعةُ النظام الروحاني، وهو محكّ للجميع لاختبار طاعتهم، بحيث ينبغي أن يتساءلوا: هل ينشأ نور في القلب؟ وهل تنشأ لذة في الروح فتتنور؟ لو فكّر الجميع في هذا الأمر لعرفوا مستوى طاعتهم، وإلى أي مدى يطيعون الله وإلى أي مدى يطيعون رسوله، وإلى أي مدى يطيعون نظام الخلافة الذي أقيم بواسطة المسيح الموعود عليه السلام. فإن لم تؤدّ طاعة الله وطاعة الرسول إلى التحلي بهذا النور فقد قال حضرته عليه السلام بأنه لا فائدة من مثل هذه الطاعة. لا شك أن طاعة الحكومة تهب الأمن والسلام، أما النور الروحاني واللذة الروحانية فلا تُنال إلا من خلال طاعة النظام الروحاني.

ثم ذكر حضرته عليه السلام نقطة هامة لرفع معايير الطاعة فقال: ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة. وعليه فلا يسع الإنسان نيل اللذة الروحانية والنور الروحاني ولا السكينة والطمأنينة بدون الطاعة مهما قام بمجاهدات متنوعة. فمن يتفاخرون بصلواتهم

ويعتمدون كثيرًا على عباداهم إلا أهم يخرجون عن الطاعـــة فـــلا يستطيعون أن يرثوا أفضال الله تعالى.

نفي الهوى وطواعية النفس

ثم ذكر حضرته ﷺ نقطة هامة أخرى لتحقيق مستوى عال في الطاعة حيث قال: لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة، ولا بد من القضاء على التكبر ولا بد من وضْعِ المدية على رقبة الأنانية، ولا بد من جعلِ أهواء النفس موافقةً لمرضاة الله ورسوله لتحقيـــق المستوى المطلوب من الطاعة، وبدونه لا تتحقق الطاعة مطلقًا. قال حضرته بأنه يمكن أن تنشأ أوثان في قلوب الموحدين الكبار الـــذين يؤمنون بالله ويعلنون أهم يعبدون الله الواحد، وأن قلبهم عامرٌ بذكر الله، فقال حضرته بأنه يمكن أن تتبوَّء الأوثان قلـــوبهم أيـــضا، وأن تكون أصنام الأنانية والفخر قابعة في القاع رغم ادّعائهم بعبادة إلـــه واحد. ومن المحتمل أن تدفع هذه الأصنام الإنسانَ مـــرة أخـــرى إلى التخلي عن الطاعة في أمور عادية، ناهيك عن أمور كبيرة. فقد وضَّح حضرته أن الصحابة الكرام ﷺ قد أحرزوا أسمى نتائج لعبادهم بعـــد الطاعة الصادقة وهي قدوة لنا اليوم. كيف يجب أن تكون طاعتنـــا؟ لقد قال النبي ﷺ: اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ

بل زاد عليه وقال حتى لو أُمِّر عليكم من كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ، أي يجب أن تطيعوه حتى لو كان فيه بعض النقائص العقلية.

فقد ربط سيدنا المسيح الموعود عليه السلام تقدم الأمة بالطاعة فوضَّح قائلا: لا يمكن أن تسمى أيُّ أُمة أمةً ما لم تُنفَخ فيها روح الجماعة والوحدة، وما لم يتبنوا مبادئ الطاعة.

الطاعة سرّ رقي الأمم

ففي اتخاذ هذه المبادئ يكمن سرُّ الرقي حصرا. كما قال النبي ﷺ أيضا إنكم لن تحرزوا الرقي إلا بالارتباط بالجماعة والاستماع إلى كلام الإمام وطاعته. فلو فهِم المسلمون اليوم هذا الأصل لصاروا قوة عظيمة لا تقاومها أي قوة مادية في العالم. أما نحن الأحمديين فيجب أن نسعى لتحقيق معايير الطاعة الكاملة. فقد وصف الله سبحانه وتعالى الطاعةَ -للجماعات الروحانية- بأنها خيرٌ عاقبةً. فمعلوم أنكم عندما تطيعون تكون العاقبة جيدة، ويتحقق بها الانقلاب. لكننا نلاحظ حتى في الأنظمة الدنيوية أيضا أن الطاعة تُحقِّق إنجازات رائعة غريبة كثيرة.

روح الطاعة تنجذب نحو العظائم

فنقرأ عن نابليون في التاريخ، حيث يقال عنه إنه تولَّى حُكم فرنسا حين كانت تتردى من الرقي، وكانت أوضاعها تسوء يوما

بعد يوم. فقال نابليون للناس: لن تتمكنوا من إحراز النجـــاح مـــا دامت فيكم الفرقةُ والانشقاق. أما إذا تحليتم بالطاعـــة والامتثـــال فسوف تنجحون وتحرزون التقدم والانتصارات. فاســـتجاب لـــه الناصحون للبلد وبدأوا يجتمعون حوله وجعلوه قائدا لهم، وسجلوا أروع نماذج الطاعة والامتثال. فقد ولَّد فيهم روحا بحيث كان الذين حوله يستجيبون لكل أمر له بل يقال إنهم قدموا لطاعته نموذجا رائعا قد غيَّر مجرى حياة نابليون نفسه، ومع أنه كان يدعو الناس للطاعة لكنه حين لاحظ الطاعة عمليا تولد في نفسه أيضا انقلابٌ أكبر.

باختصار أتى عليه زمن واجه فيه نابليون هزيمة وسُجن في إحدى جزر إيطاليا، لكنه تحرر بعد فترة بمساعدة بعض الناس، فجـــاء إلى ساحل فرنسا. وكانت حكومة جديدة قد قامت في فرنسا، وكـــان نظام جديد. وكان الملك الجديد قد دعا القـــساوسة إلى الـــبلاط وبواسطتهم أخذ اليمين من الضباط والجنود واضعين أيديهم علـــى الكتاب المقدس، وأخذ منهم عهدا أنهم ســـيطيعونه ويـــستجيبون لأوامره. وذلك لأنه كان متأكدا بأن نابليون قد خلق في الناس روح الطاعة لدرجة إذا عاد إلى البلاد فسينضم إليه الناس مـــن جديـــد. فحين تحرر نابليون من السجن بطريقة ما وبمساعدة بعض الأصحاب وجاء إلى فرنسا بدأ يجمع حوله أناسا من المزارعين والعامة الـــذين

كانوا أوفياء له. فلم يكونوا جنودا محنكين و لم يكونـــوا يملكـــون أسلحة كثيرة. باختصار حين علم الملك بذلك أرسل إليه كتيبة مع ضابط للقضاء عليه، وبالمصادفة التقى الجيشان في مكان كان فيه ممر ضيق في الجبال، حيث كان يمكن المرور ولكن بتلاصق فيما بينهم. فأمر نابليون رجاله بالتقدم فتقدموا لكن الجيش الملكـــي أمطـــروا عليهم الرصاص وقضوا عليهم. فأرسل رجالا آخرين فقُتلـــوا هـــم أيضا، وواجهوا العاقبة نفسها، وأخيرا قال له رجالُه: لا مجال للتقدم والعدو أمامنا والمكان ضيق ولا نستطيع أن ننحرف إلى أي جهـــة أخرى، *(ثم إن جنود الملك كانوا قد حلفوا على أنهم ســـيدعمون الحكومة ويقتلون رجال نابليون)*، ولا نستطيع شنَّ الهجوم جيـــدا بسبب الممر، ونواجه الرصاص ونُقتل. فلما كان نابليون نفسه قـــد ربَّى الجنود الحكوميين أيضا وكان ولَّد فيهم روح الطاعة والامتثال، فقال لرجاله أن يذهبوا إلى الممر ويقولوا للجـــيش الحكـــومي: إن نابليون يقول لكم أن تُخلّوا سبيلنا، لكن الجيش الحكومي ظل يمطر عليهم الرصاص قائلين إننا قد حلفنا واضعين أيديناعلى الكتـــاب المقدس أننا سنكون أوفياء للحكومـــة. لـــذا لا نـــستطيع الآن أن نستجيب لأوامر نابليون. لكن نابليون لم يثق بعـــدم اســـتجابتهم لقوله، إذ كان واثقا بأنه قد ربَّاهم تربية رائعة يستحيل أن يتخلـــوا

معها عن طاعته لأنه هو الذي قد ولَّد فيهم روح الطاعة، وزعم أنه لا يمكن أن يطلقوا الرصاص على رجاله. فأرسل عددا آخر من الرجال فقُتلوا هم أيضا. فتوجه إليهم نابليون بنفسه ليرى كيف لا يستجيبون له، فوقف في الممر وقال لهم: أنا نابليون وأقول لكم أن تُخلّوا سبيلي. فقال له الضابط الحكومي قد ولَّت تلك الأيام، فقد حلفنا بالوفاء للحكومة الجديدة. لكن نابليون مع ذلك كان واثقا بأنه لا يمكن أن ينسوا بهذه السرعة درس الطاعة الذي علَّمهم. فقال للجنود الحكوميين: إن جيشي سيتقدم حتما، إذا كنتم قد نسيتم الدرس الذي علَّمتُكم فها أنا واقف أمامكم فليتقدم أيّ جندي منكم يريد أن يطلق الرصاص على صدر ملكه؛ إذ قد ظللتُ أنا أحكمكم إلى الأمس القريب. إذا أردتم أن تقتلوا مَلككم، فها أنا واقف أمامكم فأطلقوا الرصاص عليَّ. فحين قال لهم نابليون ذلك عاد إليهم حماس الطاعة والامتثال القديم فرفعوا هتاف "عاش نابليون"، واندفعوا إليه راكضين، وكان بعضهم يبكي كالأولاد الصغار. فلما وصل الخبر إلى الضابط الذي كان خلفهم، تقدَّم بكتيبة كبيرة لشن الهجوم، لكنه حين تناهى إلى سمْعه نداءُ نابليون بأن مَلِكَكم نابليون يدعوكم، نسي ذلك الضابط والجيش أيضا العهد الذي كانوا قطعوه مع الملك الجديد. وانضموا إليه، وتمسَّكوا

بعهد الطاعة الأول. على كل حال كانت هذه مساعي نابليون بحيث ولّد في الشعب الفرنسي حماس الطاعة والامتثال في عصر الفرقة والتشتّت.

طاعة البيعة أعظم شأنا

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ بعد سرد هذا الحادث مثالا: لم يكن نابليون ومثله من القادة حائزين على التأييد الإلهي الذي يتمتع به الدين الحق، ومع ذلك أحدثوا انقلابا. أما المبايعون فوضْعهم مختلف، إذ إن مدلول البيعة ينحصر في التفاني في الطاعة، وهذا المدلول سامٍ لدرجة لا تنافسه الطاعة في الأمور المادية. لقد قال ﷺ إن أمر الطاعة المذكور في قول الله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ يبلغ من الأهمية بحيث إذا لم تعمل به أية أمة، سواء أكانت تابعة لدين حقٍّ أم جاهلةً به، فلن تنجح أبدا.

فهناك حاجة لوضع قول حضرته عليه السلام هذا في الحسبان دوما مدركين أن الاتحاد والطاعة ضروريان لنا لنكون أمة حقا، إذ ليس دون ذلك إلا التردي والانحطاط والزوال. لقد بين الله تعالى هذا الموضوع في القرآن صراحة بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

كيف تنزل البركة في حياتكم

فهذا التوجيه الرباني واضح، ولكن المسلمين لسوء حظهم قد بلغوا منتهى الفرقة ناسين ما أُعطُوا من نِعم، وبلغوا الحضيض من التردي والانحطاط. لقد وصف المسيح الموعود عليه السلام هنا حالة المسلمين في زمنه، أما اليوم فقد صاروا أسوأ حالا، ومع ذلك لا ينتبهون.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام لو امتنعتم عن الخلافات وأطعتم شخصًا واحدا منكم – وهو إمام العصر الذي بعثه الله تعالى في هذا الزمن خادما صادقا للنبي ﷺ ومسيحا موعودا- فسوف ترون كيف تُبارَك أعمالكم كلها. نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين الآخرين الصواب.

وقال المسيح الموعود عليه السلام إن يد الله مع الجماعة، وهذا ما نجده في أقوال النبي ﷺ أيضا، والحق أنه ما لم تتمّ هذه الوحدة فمحال وصال الله والنجاحات الأخرى أيضا، ولا يحظى بوصال الله ولا يدرك وحدانية الله إدراكا صحيحا إلا الذين تكون عندهم الوحدة.

لذا فعلينا ألا نكتفي بأننا قد بايعنا، بل نحن بــأمس حاجــة لأن نصل المستوى المطلوب في البيعة، ونعرف هذا المستوى بالتــدبر في لفظ البيعة الذي يعني بيع المرء نفسه لغيره، وسوف نرث أفضال الله تعالى ببلوغ هذا المستوى.

وبضرب مثال أبي بكر وعمر خصوصا، وبذكرِ الصحابة رضــوان الله عليهم أجمعين عمومًا، قد بيّن المسيح الموعود عليه السلام أن هؤلاء القوم كانوا ذوي رأي سديد وحنكة سياسية دنيوية، وقد تجلت كفــاءاتهم هذه في حينها حيث أداروا دفة الحكم على أحسن وجه، أما في حياة النبي ﷺ فبدا للرائي أنهم لم يكونوا يعرفون شيئا، إذ كان دأبهم عندها الطاعة الكاملة والعمل بأحكامه ﷺ تماما، محتقرين آراءهم وعقــولهم وذكاءهم، ولكن الدنيا قد رأت فيما بعد كيف أنهم قــاموا بقيــادة العالم. وهذه التربية العظيمة هي التي جعلتهم يقدّمون أسمــى نمــاذج الاتحاد إبّان الخلافة الراشدة، فهناك واقعة تاريخية تدل علــى ذكــاء الصحابي أبي عبيدة رضي الله عنه وتواضعه وإيثارِه مصلحة الأمة على مصلحته الشخصية، وهي أنه تلقى من سيدنا عمر رسالةً يخبره فيهــا بوفــاة سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما ويأمره بعزلِ خالد بن الوليد وتــولّي قيادة الجيش مكانه. ولكن أبا عبيدة لم يخبر خالدا الخبر إلا بعد أن أتمّ الصلح مع أهل دمشق ووقّع على ورقة معاهدة الصلح، وذلك إيثارًا

لمصلحة الأمة على مصلحته الشخصية. ولما علم خالد فيما بعد بأوامر الخليفة بعزله وتعيين أبي عبيده مكانه قائدا للجيش، عاتب أبا عبيده بأنه لِمَ لم يخبر بأوامر الخليفة فورا، فغيّر أبو عبيده مجرى الحديث مشيدا بمواقف خالد وإنجازاته حتى طمأنه. ولكن القائد المسلم خالد بن الوليد ضرب أروع مثال لطاعة الخليفة بهذه المناسبة حيث أعلن بين الناس قائلا أيها الناس قد أُمِّرَ عليكم الآن أمين الأمة- علمًا أن الرسول ﷺ كان قد لقب أبا عبيدة بالأمين- فرد أبو عبيدة عليه وقال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إن خالدًا سيف من سيوف الله وخيرُ فتيان القبيلة.

فهذا هو المثال الأسمى على الرضا بقرار الخليفة عن طيب نفس. بفضل الله تعالى إن مشاعر الطاعة في جماعتنا قوية، ومع ذلك يحدث أحيانا أن أحدًا إذا عُزل من منصبه قال لماذا عُزلت، وما الذي ينقصني. ولو أخذ مثل هؤلاء الشاكين في الاعتبار نماذج الطاعة هذه المذكورة في التاريخ لما أثاروا مثل هذه الأسئلة.

الفرقة والمعصية تسبب الفشل

على كل حال، علينا أنْ ندرك أن القرآن الكريم لا يزال كما هو، وأن أحكام الله لا تزال فيه كما هي، وأننا نطيع الرسول ﷺ نفسه

الذي هدانا من قبل، ونجد هديه هذا في كتب الحـــديث، ولكـــن انظروا إلى ما آلَ إليه المسلمون اليوم، فهم في فتن وفساد داخليا من جهة، ومن جهة أخرى يمدّون أيديهم للأغيار. وقد بـــين المـــسيح الموعود عليه السلام أن هذه الفُرقة وهذه الخصومات التي نراها بين الشيعة والسنة - وقد ازدادوا اليوم فرقة وانقساما- إنما هي نتيجة الخروج عن الطاعة، وهذا هو الانحطاط والزوال. ولو أنهم اتحدوا لزال تلقائيا اعتراض المعارضين بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف. لقـــد بلـــغ الصحابة من الاتحاد والطاعة مبلغًا غزوا به القلوب، وإلى مثل هـــذه الوحدة يفتقر المسلمون اليوم، أما أتباع المسيح الموعود عليه السلام فهـــم أحوج إلى هذه الطاعة، إذ قد نبه جماعته وقال: عليكم أن تقـــدموا نماذج الصحابة لكي يقطع سيف صدقكم الأعداء قطعا مـــستمرا. وهذا لن يتأتى إلا إذا تحلى كل واحد منا بطاعة كاملة وانقياد تام، وسعى لإحداث ثورة في نفسه. إذا أطعنا الله ورسوله طاعة كاملـــة فسوف نجد نصيبا من النور الذي وهب للنبي صلى الله عليه وسلم.

فالمسئولية الملقاة على كل أحمدي جسيمة، ألا وهي أن يكون بعد البيعة على يد المسيح الموعود عليه السلام نموذجا مثاليا للعمل بقـــول الله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، نموذجـــا يجتذب إليه الأنظار. هذا هو السلاح الذي به نستطيع غزوَ القلوب،

ونأتي بالناس إلى الله وعند قدمي رسوله ﷺ، ونهدي الدنيا، ونقضي على ما انتشر في العالم من أنواع الفساد. وكما قلت إن أحكام الله متيسرة لنا في صورة القرآن الكريم، وهي قابلة للطاعة وصالحة للعمل بها، وإن أسوة النبي ﷺ لموجودة عندنا وقد فُرض علينا التأسي بها، وإن النظام الروحاني لأولي الأمر متيسر في جماعتنا، ويذكّرنا دوما بالعمل بأحكام الله ورسوله ﷺ. فلا مبرر لأن نعجز عن التميّز عن الآخرين والبروز. وفّقنا الله جميعا لذلك، وجعلنا نحقّق الآمال التي عقدها المسيح الموعود عليه السلام علينا. آمين.

(خطبة الجمعة ألقيت يوم٢٠١٤/١٢/٠٥ في مسجد بيت الفتوح بلندن)



الخطبة الثالثة

الخلافة نعمة عظمى

ومملكة اللّه الخاصة

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

الخلافة تعود من جديد

يقول رسول الله ﷺ ما معناه: تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون... ثم تكون الخلافة على منهاج النبوة. ولن تكون لها أهداف شخصية بل ستواصل مهمة النبي ﷺ، ولكن بعد فترة من الزمن ستنتهي هذه الخلافة الراشدة، وستُنــزع منكم هذه النعمة ثم يكون مُلكٌ عضوض يتضايق منه الناس ثم تكون ملكا جبرية، ثم تهيج رحمة الله وتقوم خلافة على منهاج النبوة مرة أخرى.

فنرى أن الملوك المسلمين أو زعماء الدول الذين جاءوا في فترات مختلفة في تاريخ الإسلام سمّوا أنفسهم خلفاء وظلوا يقولون بأن مكانتهم كمكانة الخليفة، ولكن مع ذلك إن أغلبية المسلمين يعدُّون الخلفاء الأربعة وحدهم الذين جاءوا بعد النبي ﷺ خلفاء راشدين،

وعهدهم فقط يُعَدّ عهد الخلافة الراشدة، أي فترة الهداية ونشرِها، وقد أدار الخلفاء في عهدهم نظامَهم بحسب تعليم الإسلام كما رأوا النبي ﷺ يديره. لم تكن في فترة الخلفاء الراشدين حكومة قَبلِيَّة، بل ألبسهم الله تعالى رداء الخلافة بواسطة جماعة المؤمنين. أما الخلفاء الآخرون فقد حافظوا على حكومة قَبلِيَّة، وبذلك تحققت نبوءة النبي ﷺ حرفيا. فلما تحقق الجزء الأول والثاني من تلك النبوءة حرفيا فلا بد أن يتحقق قول النبي ﷺ عن الجزء الأخير من النبوءة أيضا الذي جاء فيه أن الله الذي أرسل النبي ﷺ بشريعة تدوم إلى يوم القيامة، ستهيج رحمته - نظرا إلى عكوف الناس على الأمور المادية وحالة المسلمين المتردية- وتقيم الخلافة على منهاج النبوة في الدنيا مجددا. ونحن الأحمديين متأكدون أن رحمة الله هاجت بحسب وعده للنبي ﷺ وأقام الخلافة على منهاج النبوة بواسطة المسيح والمهدي الموعود تحقيقا لقول سيدنا ومولانا ﷺ. لقد أعطى اللهُ المسيح الموعود عليه السلام مقام النبي في الأمة ومقام خاتَم الخلفاء أيضا لأنه كان مقدَّرا أن تقوم سلسلة الخلافة بواسطة خادمه ﷺ الصادق وخاتَم الخلفاء فقط.

نحن سعداء لكوننا من الذين حظُوا بنصيب من البشارة المذكورة التي بشّر بها رسول الله ﷺ عن قيام الخلافة على منهاج النبوة. فقد

وضّح النبي ﷺ الآية التي وردت في سورة الجمعة وهي: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وألحق الآخرين- ونحن منهم- بالأولين، وعدَّنا من المؤمنين بحبيبه الذي قال عنه بأنه سيعيد الإسلام من الثريا إلى الأرض. ووفَّقنا الله عَزَّ وَجَلَّ أن نكون من الذين استطاعوا أن يؤدوا واجبهم في إبلاغ سلامه ﷺ إلى المسيح والمهدي. ثم أنعم الله على جماعة المبايعين للخلافة بإقامة سلسلة الخلافة بعده ووفَّقنا لبيعتها.

نعمة عظمى يليق بالنبلاء شكرها

فكل هذه النِعم الإلهية تقتضي من كل أحمدي أن يشكر الله تعالى عليها ويُحدثَ في نفسه تغيُّرا يليق بالذين يؤمنون بالمبعوثين من الله تعالى. عندها فقط يمكننا أن نؤدي حق البيعة. كان مقدرا للمسيح والمهدي الموعود أن يعيد الإسلام من الثريا إلى الأرض ويرسخه في قلوب المؤمنين به. وكل أحمدي يشهد على بصيرة على أنه عليه السلام أدّى هذا الواجب على أحسن ما يرام. ولكن ترسيخ الإيمان لا يقتصر على حياتكم أو على بضعة عقود فقط بل كان المراد من سكوت النبي ﷺ بعد البشارة بقيام الخلافة على منهاج النبوة أن هذا الإيمان سيبقى قائما بكل شوكته وعظمته إلى يوم القيامة. كل من يحسب نفسه مبايعا للمسيح الموعود عليه السلام يجب عليه أن يرسخ

الإيمان في قلبه ثم يعضّ عليه بالنواجذ. فمن واجب هؤلاء المؤمنين أن يتمسكوا بأهداب الخلافة القائمة بعد المسيح الموعود والسالكة على مسلكه وأن يُظهروا هذا الإيمان وينشروه في جميع أنحاء العالم ويقيموا وحدانيته في العالم.

لقد أرسل الله تعالى سيدنا ومطاعنا محمدا رسول الله ﷺ لهذا الغرض ثم أرسل خادمه الصادق للغرض نفسه وأنبأ النبي ﷺ بقيام الخلافة وبقائها إلى يوم القيامة لإنجاز المهمة نفسها. لذلك بشّر المسيحُ الموعود عليه السلام جماعته- إلى جانب الخبر الحزين بوفاته- قائلا: "إن سنة الله القديمة هي أنه تعالى يُري قدرتين، لكي يحطّم بذلك فرحتَين كاذبتين للأعداء.. فمن المستحيل أن يغيّر الله تعالى الآن سنته الأزلية... إذ لابد لكم من أن تروا القدرة الثانية أيضًا، وإن مجيئها خير لكم، لأنها دائمة ولن تنقطع إلى يوم القيامة."

الله يثبت وجوده مجددا مع الخلافة

إذًا، فقد أقام الله تعالى القدرة الثانية بعد المسيح الموعود عليه السلام لإقامة الإيمان على الأرض. لا يريد الله أن يفرح المعارضون بأن الدين انقرض من الدنيا، ولا يحب الله أن يتباهى الشيطان ويعتزّ. بل من المقدر عند الله أن تُحطَّم أفراح المعارضين الكاذبة، لذا سيؤيد

دائما نظام الخلافة القائمة في الدنيا بعد المسيح الموعود عليه السلام من أجل إقامة الإيمان. وقد أوجب الله تعالى على المؤمنين أن يكونوا أنصار الخلافة- مقابل الذين يريدون استئصالها من جذورها- لتوطيد دعائم الإيمان في العالم، وأن يعقدوا عزما صميما جاعلين عهد بيعتهم في الحسبان أنهم سيحافظون على إيمانهم وينوِّرون الآخرين أيضا بنور هذا الإيمان.

يقول المسيح الموعود عليه السلام بأن من سنة الله القديمة أنه يُري قدرتين، ونعلم جيدا أن المراد من القدرة الثانية هي الخلافة. فلنظام الخلافة علاقة قوية بالتقدم الديني، وهي مسألة مهمة للشريعة الإسلامية. التقدم الديني بغير الخلافة مستحيل تماما، كما لا يمكن قيام وحدة الجماعة بغير الخلافة. كل من يتمسك بأهداب الخلافة من بيننا يعلم جيدا أن بقاء الخلافة في الجماعة جزء من الإيمان، ويعلم أيضا ذلك أولئك الذين دحضوا كلام مثيري الفتنة عند وفاة الخليفة الأول رضي الله عنه واعتصموا بالخلافة لأنهم كانوا يعلمون أن إيماننا لن يسلم إن لم تكن الخلافة فينا. نحمد الله تعالى على أن كثيرا من أولاد هؤلاء الأبرار يستفيدون اليوم بسبب تضحياتهم وقوة إيمانهم من بركات الخلافة. لقد بذل الخليفة الثاني رضي الله عنه في هذا المجال جهودا وتضحيات أكثر من غيره.

لحظة فيها تجلت صيانة الله للخلافة

لقد وجّه المتَّهِمون تهمًا كثيرة إلى الخليفة الثاني رضي الله عنه ولكنني سأضع بين أيديكم كيف كانت حالة قلبه رضي الله عنه، بكلماته هو، وحرصه على حماية الخلافة لأنه جزء من التاريخ، ومن واجبنا أن نكون مطّلعين على التاريخ لإنقاذ أنفسنا من الفتن وهو ضروري لتقوية إيماننا أيضا. فيقول الخليفة الثاني رضي الله عنه:

لقد دعوت المولوي محمد علي في غرفةٍ من البيت الذي توفِّي فيه الخليفة الأول رضي الله عنه وقلت له: لا تُثِر نقاشا حول قيام الخلافة أو عدم قيامها، بل يجب أن تجعل أفكارك مقتصرة على أن يُنتَخب خليفةً شخصٌ تكون مصلحة الجماعة مصونة في يده، وهو قادر على السعي لرُقِيّ الإسلام، لأن التنازل والمصالحة يمكن أن تكون في الأمور التي يمكن تقديم التضحية فيها. فقلتُ للمولوي محمد علي بأنه فيما يتعلق بالأمور الشخصية فأستطيع أن أضحي بعواطفي من أجلك ولكن إذا كان المسألة تتعلق بالمبدأ فسيكون الأمر اضطراريا، لأن التخلي عن المبدأ لا يجوز بأي حال. الفرق الوحيد بيننا وبينكم هو أننا نحسب الخلافة مسألة دينية ونرى وجودها ضروريا. وأنتم أيضا لا تستطيعون أن تحسبوا وجودها غير جائز لأنكم تحررتم للتو

من ربقة بيعة خليفةٍ. *(أي قد بايعتم الخليفة الأول ﷺ الذي توفّي الآن وتحررتم من بيعته وتقولون الآن بأنه لا حاجة للخلافة وقد تحررنا منها)*. فقال لهم سيدنا المصلح الموعود ﷺ: لقد ظللتم مبايعين إلى ست سنين، وما كان جائزا إلى ست سنين لا يمكن أن يصبح حراما في المستقبل أيضا، وخاصة ما أمر الله بإقامته. الفرق الوحيد بيننا وبينكم هو أنه إذا تخليتم عن موقفكم الحالي فإنكم ستختارون حتما ما بقيتم عليه إلى اليوم، أي تبقون في بيعة الخليفة الأول. أما إذا تخلينا نحن عن موقفنا لاضطررنا لترك ما يعد تركه منافيا لمعتقدنا وديننا الذي لم نعمل خلافه قط. فمن مقتضى العدل أن تسلكوا الآن أيضا السبيل الذي سلكتموه إلى اليوم وألا تكرهونا على فعْل ما ينافي دينَنا ومسلكَنا.

أما السؤال أنه من يكون مفيدا لتقدم الجماعة وترسيخ دعائم الإسلام فسنقبل خليفة مَن اتفقتم عليه.

كانت الأغلبية من الجماعة تريد بفضل الله تعالى أن يستتب نظام الخلافة لأن الأمر البيّن للمسيح الموعود عليه السلام كان موجودًا أمامهم.

فلما طال هذا الاجتماع وظلّ المولوي محمد علي مصرًّا على موقفه أخذ الناس يطرقون الأبواب وأثاروا ضجة قائلين: قرِّروا سريعًا وخُذوا بيعتَنا.

على أية حال، يقول الخليفة الثاني ﷛: قلت للمولوي محمد علي: لقد أزلتُ جميعَ مخاوفك، لذلك ينبغي الآن أن يكون السؤال المطروح أمامك هو: من سيكون الخليفة؟ بدلا من الإصرار على عدم الخلافة. قال المولوي: أفهم جيدًا لماذا تؤكد على هذا الأمر، ذلك لأنك تعرف من سيكون الخليفة القادم. يقول المصلح الموعود ﷛: قلت له: ولكنني لا أعرف من سيكون الخليفة، بل سأبايع مَن تنتخبونه. أي قال حضرته ﷛ للمولوي محمد علي: عندما سأبايع الذي تختارونه خليفةً فإن المؤيدين للخلافة سيطيعونني في ذلك، فلا خوف من مواجهة المعارضة البتة. ولكن المولوي محمد علي لم يقبل ذلك وظلّ متشبثًا بآرائه.

يقول المصلح الموعود ﷛: قلت للمولوي محمد علي: تسيء بي الظن كثيرًا، ويا ليتني كنت أستطيع شقّ قلبي وإراءتكم ما بداخله. وإنني مستعدٌّ لتقديم كل تضحية تكون باستطاعتي.

فلما فُتح البابُ أخيرًا وخرج هؤلاء من الغرفة رشّح المولوي محمد أحسن الأمروهي اسم مرزا بشير الدين محمود أحمد ليكون الخليفة الثاني للمسيح الموعود ؈ وأصرت الجماعة كلها على أن يأخذ حضرته منهم البيعة. لقد قال حضرته مرارًا أنه لا يحفظ كلمات البيعة أيضا، ولكن المولوي سرور شاه قال: أحفظها وأقرأها لك.

وهكذا قد أفشل الله تعالى -تحقيقا لقول نبيّه ﷺ- محاولة الفتانين لإثارة الفتنة عند قيام القدرة الثانية، وأقام الله تعالى الخلافة على منهاج النبوة بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام مرة ثانية. فمن ابتعدوا عن الخلافة كانوا علماء كبارًا في الدين والدنيا أيضا وكانوا مثقفين ومحنكين وأصحاب الثروة والجاه، وكانوا هم المسيطرين على خزينة مؤسسة صدر أنجمن إلا أنهم لم يلقوا إلا الخيبة والخسران.

صفات الله تتجلي بروعة وجمال فذ

بعد انتخاب الخليفة الثاني لم يكتفِ المولوي محمد علي بمغادرة قاديان فقط بل أثارت فئة غير المبايعين فتنًا كثيرة من أجل القضاء على الخلافة إلا أنهم تلقوا هزيمة نكراء كل مرة. وذلك لأن إقامة الخلافة واستمرارها كان وعدًا مؤكدًا من الله تعالى. فلما كان هؤلاء يغادرون قاديان بشكل نهائي بعد أن أخذوا كل ما كان في خزينة الجماعة فقد قالوا مشيرين إلى مبنى مدرسة تعليم الإسلام: لن تمرّ عشر سنين إلا ويسيطر على هذه المباني الآريون الهندوس والمسيحيون. ولكن انظروا كيف ينجز الله تعالى وعوده بكل عظمة خارقة؟ وكيف يحقق قول رسوله الكريم؟ ولاحظوا كيف حقق الله تعالى البشارة التي أعطانا إياها عن طريق المسيح الموعود عليه السلام بل

ويحققها كل يوم بصورة جديدة. كانوا يتكلمون أن الآريا والمسيحيين سيسيطرون على مباني الجماعة خلال عشر سنين، ولكن انظروا إلى أفعال الله تعالى حيث قد مضت تلك السنون العشرة ثم مضت بعدها عقود من الزمان وها قد مضى على هذه الواقعة ١٠١ عاما وقاديان في ازدهار مستمر رغم الظروف غير المواتية التي مرت بها ومن بينها حادث انقسام الهند إلى دولتين حيث اضطرت الجماعة للخروج من قاديان، وما تُرِك هنالك سوى بضع مئات من الناس لقضاء الحياة فيها كالدراويش. أما الآن فقد أنشئت هناك مبانٍ جديدة كثيرة.

كانوا يتكلمون عن وقوع مدرسة واحدة في قبضة الأغيار ولكن الآن تُنشأ هناك مدارس جديدة بكلفة ملايين الروبيات. إضافة إلى ذلك فقد توسع كثيرا هناك نطاق أعمال التبليغ أيضا بفضل الله تعالى. لم يحدث ذلك في قاديان فحسب بل تشهد على تأييد الله تعالى ونصرته للخلافة مبان شاهقة في شتى بلدان العالم التي ترتبط بالخلافة الأحمدية، ومن خلال هذا النظام تصل تعاليم الإسلام الجميلة إلى أتباع كل ديانة، فهذا هو تأييد الله تعالى للخلافة الأحمدية الذي نرى مشاهده كل يوم، ولا تخلو ألمانيا من هذه الفيوض التي يوصلها الله تعالى لمن يرتبط بالخلافة الأحمدية. لقد

اشترت قبل أيام قليلة منظمة أنصار الله ولجنة إماء الله في ألمانيا مبنى ضخما ذا خمسة طوابق بسعر ١,٧ مليون يورو. تلك الخزينة التي ترك فيها معارضو الخلافة أقل من روبية واحدة فحسب، وكانوا يضحكون قائلين: سنرى كيف يَسير نظامُهم؟ فقد اشترت منظمتان فرعيتان فقط من أحد البلاد المرتبطة بتلك الخلافة نفسها مبنى ضخمًا ذا خمسة طوابق ببذل أكثر من ١٩٠ مليون روبية. فإن لم تكن هذه أفضال الله تعالى وتأييده للخلافة الأحمدية فماذا إذن؟ أما من انفصلوا عن الخلافة فقد اختلّ نظامهم المركزي أيضا، وإلى اليوم فإن السعداء منهم الذي يشعرون بخطئهم أو ذريتُهم ينضمون إلى جماعة المبايعين أي الجماعة الإسلامية الأحمدية ويستظلون بلواء الخلافة.

قصص تعبر عن سماوات جديدة يبنيها الله

إضافة إلى ذلك فإن أعمال التبليغ بالإسلام لا تتأتى إلا من خلال نظام الخلافة. وفي الزمن الذي يتم فيه تشويه الإسلام تقوم الجماعة الإسلامية الأحمدية بإراءة صورة الإسلام الغراء، ولأجل ذلك يثبت الله تعالى صدق الخلافة الأحمدية للعالم كله. هناك بعض الأحداث المحيّرة للغاية بحيث تجعل الإنسان يفكر مندهشا كيف يخبر الله تعالى

الناسَ عن صدق الجماعة وعن تأييده للخلافة وبالتالي يشرح صدور مَن كانت فطرهم سليمة، وأذكر هنا حدثًا أو حدثَين فحسب.

هناك بلد في إفريقيا يسمى النيجر، وكتب من هناك داعيتنا ما يلي: حضر عشرة أئمة من القرى في الدورة التعليمية والتربوية للمبايعين الجدد وحضر معهم مختار قرية "ووغونه" أيضا. فلما سُئل: لماذا أتيت بنفسك بدلا من إرسالك إمام القرية، لأن الدورة كانت قد خُصّصت لتدريب الأئمة، قال: أعرف أنها دورة تدريبية للأئمة، ولكنني لما ذكرتُ للإمام بالأمس المشاركة فيها رفض بحجة أن علماء المدينة -الذين كانوا من الوهابية- أخبروه أن الأحمديين كفار. يقول مختار القرية: حيّرني ردّه وتألمت جدًّا وتساءلت: كيف يمكن أن يكون الأحمديون كافرين؟ وكنت قد سمحت لهم بالتبشير في القرية بوصفي مختار القرية، فإذا كانوا كفارًا فقد صرت كافرًا مضاعفًا بسماحي لهم. فدعوت في تلك الليلة بحرارة (*يقول بعض الناس بأن أهل إفريقيا أمّيون لا يعقلون شيئا. ولكن انظروا إلى مختار القرية هذا، فلعله ليس بمثقفٍ كثيرًا إلا أنه يكنّ في قلبه مخافة الله وفطرته سليمة*) يقول: لقد دعوت الله تعالى كثيرا في تلك الليلة ونمت مسترشدًا الله تعالى ومستهديا إياه (*وهو أمر لا يفقهه علماء كبار*).

ثم أدلى بتصريح مقرون بالحلف: رأيت تلك الليلة في المنام أنه قد نزلت في بيتي نجوم من السماء أولا ثم تبعهم البدر أيضا. كنت أراها عن كثب دون أن أجد فيها أي نور. ثم نزل في بيتي من السماء شخص يلبس ملابس بيضاء، وفور حلوله في بيتي تنورّت النجوم والبدر بشكل غير عادي وأصبح بيتي يفيض بالأنوار. ووقع في قلبي بشدة أن هذا الشخص من الشخصيات الكبار للجماعة الأحمدية فتقدمت إليه وسألته: هل أنت داعية الأحمدية أم خليفتها؟ وبعد ذلك استيقظت.

فلما أراه داعيتنا ألبوم الصور وضع فورًا إصبعه على صورتي وأخذ يردد مقسمًا بالله: هذا هو الشخص الذي رأيته نازلا في بيتي من السماء وبحلوله امتلأ بيتي نورًا.

وكتب أمير الجماعة في غامبيا: عندما بلّغْنا الدعوة في قريةٍ تُدعى "أسامبامبائى" وأخبرْنا أهلَها عن بعثة المسيح الموعود عليه السلام وقرأنا لهم شروط الانضمام إلى جماعته قال عفويًا إمام القرية ورئيس اللجنة المعنية برقي القرية: لقد تنبأ النبي ﷺ عن مجيء الإمام المهدي، وهذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن ظهور الإمام المهدي. ومنذ أن عرفتُ الأحمدية تأثرتُ بها كثيرا. ثم قال: الأحمديون هم المسلمون الحقيقيون لأن لديهم قوة الخلافة التي تربطهم جميعًا في سلك واحد.

فلما أُخبِر عَني وقُدّمتْ له صورتي قال: أراه كل يوم على التلفاز، وبعد ذلك بايع جميع الموجودين هناك وانضموا إلى الأحمدية، وكان عددهم ٣٥٠ تقريبا. فلما رأوا ترجمة معاني القرآن الكريم في ثلاث لغات محلية قالوا: إن الأحمدية هي الإسلام الحق لأنه لم توفق فرقة أخرى لهذا العمل النبيل كما وفق له الأحمديون. ثم قالوا في النهاية بأهم سيظلون متشبثين بالأحمدية بإذن الله ولن يتخلوا عنها لأها الإسلام الحقيقي، أما المشايخ الآخرون فكانوا يخدعوننا.

إضافة إلى ذلك بمناسبة افتتاح مسجدنا في "آخن" و"هاناو" خلال جولتي الحالية أبدى أناس محليون كثيرون آرائهم وكانوا ينتمون إلى مختلف مجالات الحياة؛ فكان منهم الساسة والتجار أيضا، وبعضهم مدرسون والآخرون مثقفون، وكان بينهم رجال ونساء أيضا، فقد قالت سيدة: لي معرفة شخصية ببعض الأحمديين، وكنت أظن أنني أعرف كثيرًا عن الأحمدية بسبب معرفتي بأفراد الجماعة، ولكن التأثير الذي تركه فيّ كلامُ خليفتكم لم أشعر به في السابق قط. لقد عرفت الآن حقيقة الإسلام بشكل صحيح وقد دخلتْ هذه الحقيقة في أعماق قلبي.

أقوياء الإيمان يستمرون في رؤية الآيات والتأييدات

فهذه هي أفضال الله تعالى المنوطة بالخلافة. أما أنا فإني إنسان متواضع، وأعرف حالتي جيدًا، فليست لي ميزة تستحق ذلك، بل كل ذلك بسبب وعد الله تعالى لتأييد الخلافة ونصرتها، وهو صادق الوعد الذي ظل يؤيد الخلافة وينصرها في السابق، وسيظل كذلك إن شاء الله كما قال المسيح الموعود عليه السلام أيضا. وهذه هي القدرة الثانية التي أقامها الله تعالى، وقد رأينا مشاهد تأييد الله لها، فالذين يظلون أقوياء الإيمان سيظلون يرون الآيات والتأييدات، فاسعوا جاهدين باستمرار لتقوية إيمانكم وتوطيد علاقتم بالخلافة الإسلامية الأحمدية والاهتمام بأداء الواجب الذي يقع على الذين وعدهم الله تعالى بنعمة الخلافة. لقد حُرم المسلمون نعمةَ الخلافة في العصر الأول للإسلام حينما غلبت عليهم المادية، أما الآن فسوف يستمر هذا الفيض الرباني إن شاء الله تعالى، ولكن الذين لا يفون بعهدهم بإيثار الدين على الدنيا سوف يُحرمون من هذا الفيضَ، وإذا لم يفوا بالشروط التي أناطها الله تعالى بنعمة الخلافة فسيكونون من المحرومين. لقد وعد الله تعالى بتبديل الخوف أمنًا بالخلافة، ولكن هذا الوعد هو للذين يؤدون حقوق الله تعالى في ذلك، وأول حقوقه

تعالى المذكورة هنا: (يعبدونني)، فإن كنتم تريدون أن تتمتعوا بهذه النعمة فلا بد لكم من أداء حق العبادة، فحافِظوا على صلواتكم الخمس واهتمّوا بأدائها على أحسن وجه. والحق الثاني هنا هو: (لا يشركون بي شيئا)

سمعة الدين الحق أمانة فاحفظوها بقدوتكم

لكل شخص أولوياته في الدنيا، ونجد في هذه البلاد المتقدمة خاصة أن الناس في سباق وراء المادة، وبدأ البعض من جماعتنا يفضّلون الأمور المادية على أحكام الله تعالى، حيث يلجأون إلى الكذب والتزوير جلبًا لبعض المنافع المادية، وهذا أيضا نوع من الشرك، ومثل هؤلاء لن يتمتعوا ببركات الخلافة شيئا. لقد كتب لي البعض من ألمانيا بأن له صديقا قد اقتنع بجميع الأفكار الأحمدية وبصدق المسيح الموعود عليه السلام، فلما قلت له عليك أن تبايع الآن وتنضم إلى جماعتنا، ردّ علي وقال إنني أعرف كثيرا من الأحمديين، بعضهم من أقاربي، فهم لا يدفعون الضرائب للحكومة، ويكذبون، ويقعون في منكرات أخرى، وأنا لا أرتكب هذه السيئات، وأؤدي الضرائب كاملة، وإذا سقت سيارة تاكسي فأدفع عليها الضريبة

كاملة، فكيف أدخل في جماعة هؤلاء، فإني أفضلُ منهم هكذا، وإن كنت مقتنعا بكل العقائد التي تقول بها.

لا شك أن جواب هذا الشخص خطأ، وقد صار مجرمًا برفض أمر الله ورسوله، وسوف يقول الله له لقد انكشفت عليك الحقيقة، فلماذا رفضتَها برؤية سيرة بعض الناس السيئة، ولماذا لم تستجب لأوامري. إلا أن هؤلاء الأحمديين أيضا يقعون في إثم مزدوج بسلوكهم الخاطئ هذا. إنهم يُحرَمون أفضالَ الله تعالى كما يحرِمون غيرَهم منها، وقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام عن مثل هؤلاء إنكم تشوهون سمعتي بانتمائكم إليَّ. فالذين يشوهون سمعة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أنى لهم أن يتمتعوا ببركات خلافته الجارية. فعليهم أن يحاسبوا أنفسهم.

لولا الخلافة الإسلامية ما زكا من تزكى منكم

كذلك أقول للمسئولين ولغيرهم ممن يعملون للجماعة إن هذه البركة التي ترونها في أعمالكم أو إن هذا التوفيق الذي يهبكم الله لخدمة الدين إنما هي منوطة بارتباطكم بالخلافة فقط، ولن تستطيعوا إنجاز شيء أبدًا منفصلين عن الخلافة. إذا كان بعضكم يرجع النتائج الطيبة لبعض أعمالنا إلى علمه وعقله وجهده فظنه

باطل تماما. اعلموا أن الأعمال التي يقوم بها أحد باسم الدين منفصلا عن الخلافة لن تبارَك مثقال ذرة. وقد ذكرتُ لكم آنفًا ماذا كانت نتيجة المنشقين عن نظام الخلافة، فعددُهم في تناقص مستمر، ومركزيتهم في زوال، ونظامهم في انهيار. فلا جرم أن حب الخلافة وطاعتها هي التي تورث أفضال الله تعالى وتأتي بنتائج طيبة، وذلك لأن الخلافة نظام قد أقامه الله تعالى، وقد أناط كل جهد لنشر الدين وازدهاره بالخلافة. فلو خطرت ببال أحد من المسئولين هذه الفكرة أو أصابه الزهو فعليه الاستغفار. اعلموا أن رقي جماعتنا ليس راجعًا إلى علوم العلماء ولا إلى عقول العقلاء ولا إلى مهارة علماء العلوم المادية. إذا كان علمُ عالم دين أو عقلُ عاقل أو علمُ ومهارةُ عالم مادي تؤدي إلى نتائج غير عادية في أعمال الجماعة، فإنما هو بفضل الله وببركة الارتباط بالخلافة فحسب، لأن الله تعالى قد وعد بهذه النتائج مَن يعتصمون بالخلافة، وبالفعل إنه تعالى يكتب لنا هذه النتائج الطيبة محققا وعده. لا شك أن العلم والعقل والخبرة يمكن أن تنفع في أعمال الدنيا، ولكن الذين ينتمون إلى جماعتنا لا بد لهم من طاعة الخلافة للحصول على النتائج الطيبة في أعمالهم خاصة.

الخلافة مملكة الله الخاصة تنزل عليها خواص البركة

كذلك من واجب علماء الجماعة أن يعلّموا أبناءها الذين هم حديثو الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام أو هم شباب أو صغار ممن يجهلون مكانة الخلافة وأهمية العلاقة بها، ويخبروهم بهذه الأمور. وهي مسئولية المسئولين في الجماعة أيضا. لقد رأيت أن بعضهم يتقلدون المناصب في الجماعة ولكن لا علم لهم بالدين، ويظنون أن مناصبهم مناصب دنيوية. عندما يقول بعضهم أمامي بأنه يتقلد منصبا كذا، فإني أنبهه دائما بألا يقول منصب بل يقول خدمة. فإذا كان الله تعالى قد أتاح لهم فرصة خدمة الدين فعليهم أن يزيدوا علمهم في الدين وكذلك إخلاصهم ووفاءهم وتقواهم وصلتهم بالخلافة. ومن المسئولين مَن يسعى جاهدا لإبراز أهميته ومنصبه، ولكن فيما يتعلق بالخلافة فيظن أنه قد أدى واجبه نحوها بالاحتفال بيوم الخلافة مرة في السنة. لقد ذكرت من قبل مرة أن حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه قال إن الجماعة لا تركز على إبراز أهمية الخلافة كما يجب. وبعد تذكيري بهذا الأمر بدأت الخطب تُلقَى الآن في جلساتنا، ولكن لا تزال هناك حاجة ماسة لأن يرسَخ في أذهان أبناء الجماعة أن يستمعوا لكلام الخليفة ويسعوا للعمل به، ويقوّوا

علاقتهم بالخلافة. والذين يستوعبون هذا الأمر يشعرون بتغيير طيب خارق في نفوسهم أيضا. فقبل أسابيع جاء لزيارتي في لندن قرابة مئة شاب من كندا وأكثر من مئتي شاب من الولايات المتحدة، وكانوا بمختلف الأعمار، وكان بينهم بعض المبايعين الجدد، ومكثوا هنا ثلاثة أيام، وعندما رجعوا كانوا مختلفين تماما عما كانوا عليه من قبل. كانوا يعبرون عن إخلاص ووفاء وولاء بشكل مدهش ومحير، وقد كتبوا لي رسائل بعد عودهم وأعربوا عن انطباعاهم وحالتهم وعاهدوا على أهم سيواظبون على الصلوات وعلى علاقتهم بالجماعة، وعلى أهم سيزدادون صلة بالخلافة. أما مِن قبل فما كانوا قد أُخبروا عن أهمية الخلافة وما كانت عندهم أية علاقة شخصية بالخلافة. لا جرم أن اللقاء الشخصي بالخليفة يزيد الطرفين علاقة وحبا، ولكن لو بيَّن العلماء والمسئولون لأبناء الجماعة أهميةَ الخلافة من حين لآخر لازدادوا إيمانا وعلاقة بالخلافة. إن المسئولين، الرجال ومن النساء حتى رئيسات لجنة إماء الله، يريدون أن يبرزوا أمام الجماعة مكانتهم بحجة أهم ممثلو الخليفة، فكلما قام أحدهم للخطاب قال إني ممثل الخليفة، ولكنه لا يرسخ أهمية توطيد العلاقة بالخليفة كما ينبغي. ولو أهم ركزوا على بيان أهمية الخلافة وسعوا لتوطيد علاقة الأفراد بالخليفة لانكشفت أهميتهم تلقائيا. فهذه

مسئولية علمائنا، وأعني بالعلماء الدعاة والمسؤولين ومن عندهم علم الدين. فمن واجبهم أن يكونوا أياديَ وسواعدَ الخليفةِ، وأن يجعلوا عَمَلَهم وفقًا لتعليماته وينصحوا الآخرين بذلك. من الخطأ الظن أنهم إذا قاموا بالوعظ مرة فهذا يكفي وانتهى واجبهم، كلا بل يجب إلقاء هذا الوعظ والحث على تقوية الصلة بالخلافة مرة بعد أخرى. كان حضرة المصلح الموعود ﵁ قد أوصى الدعاة والعلماء نصيحة هامة جدا فقال: كل مؤمن يلتاع للدين وهو مخلص للجماعة ويريد أن تقام هذه الجماعة الربانية ويرفع اسمها في العالم وأن يستردّ الإسلام مجده الذي حققه في عهد الرسول ﷺ وألا تضيع جهود المسيح الموعود ؑ في هذه السبيل، عليه أن يسعى لذلك جاهدًا بمساعدة الخليفة ليل نهار، فهذا سيصلح الجماعة فكريًا أيضا. فكما أن الناس يمدّون ثيابهم لالتقاط ما ينثره أصحاب العرس على الناس من تمر وغيره (علما أن بعض الأقوام عندنا ينثرون في عرسهم على الناس التمر والنقود)، كذلك كلما قال الخليفة شيئا لإصلاح الجماعة فعلى هؤلاء أن يلتقطوه ويردّدوه أمام أبنائها مرارا وتكرارا حتى يستوعبه أغبى القوم أيضا ويهتدي إلى الصراط المستقيم المؤدي إلى الدين.

أسأل الله تعالى أن يوفق أفراد الجماعة وعلماءها ومسئوليها لأن يستمعوا لما تقوله الخلافة، وليس هذا فحسب بل يعملوا به، ولا يظنوا أنهم قد أدوا واجبهم بالتعبير عن وفائهم وولائهم وتهنئتهم بيوم الخلافة فقط. علينا أن ندعو الله تعالى أن يوفقنا للاحتفاظ بنعمة الخلافة. آمين

(خطبة الجمعة ألقيت يوم ٢٠١٥/٠٥/٢٩ في فرانكفورت بألمانيا)



The Institution of Khilāfat and Obedience

This book is a compilation of three Friday Sermons delivered by Ḥaḍrat Khalīfatul-Masīḥ V (may Allah be his Helper) on the topic of 'The Institution of Khilāfat and Obedience.' The first of these Sermons was delivered on 6 June 2014 in Frankfurt, Germany; and the second was delivered on 5 December 2014 at Baitul-Futūḥ Mosque in Morden, United Kingdom; and the third sermon was delivered on 29 May 2015 in Frankfurt, Germany.

In these Sermons, Ḥaḍrat Khalīfatul-Masīḥ V (may Allah be his Helper) has elaborated upon our responsibilities as followers of this divinely instituted spiritual system and has also expounded the significance of obedience in a very lucid and eloquent manner.

